المشهد الاسرائيلي
www.almash-had.org/com
الثلاثاء ١٤/١/٢٠٠٣م الموافق ١١ ذو القعدة ١٤٢٣هـ، العدد التاسع، السنة الاولى

بين الأنقـــاض:

عاموس عوز ودافيد غروسمان يتحدثان عن حال الأمّة . .

الكاتبان عاموس عوز ودافيد غروسمان يلتقيان في محادثة حزينة عن وضع الأمة عامةً وعن وضع اليسار خاصةً . الأول يوبخ القبيلة المنكوبة، الثاني يدافع عنها، لكن الاثنين سيصوتان بنفس الورقة

بقلم: آري شفيط

الطريق إلى عراد تغيرت أيضًا. في اللقية حلت البيوت المبنية بدلا من البراكسات؛ في الحورة بناء مكتظ وفي الكسيفة أقيمت مآذن مساجد. التلال الصحراوية الشتوية التي إلى الجنوب من مفترق «شوكت»مُرقطة بما لا يُحصى من المباني الجديدة، التي تظهر واحدًا بعد الآخر في الفراغ الكبير الناجم عن غياب السلطة جنوب بئر السبع، في الواقع الفوضوي الهائج بين جبل الخليل وغزة. وعلى جانبي الخط الاسفلتي المتعرج هناك منشآت مرتجلة لغسل السيارات، ومراكز بيع سريعة، ولافتات انتخابية كبيرة عليها صور لدهامشة والطيبي. ما يشبه الأرض المرتبكة. أرض الذي سيأتي. الذي يقترب رويدًا رويدًا وهو يقف بالباب.

عاموس عوز يستقبل ضيوفه بكنزة شتوية دافئة وبعناق دافئ وبنظرة دافئة. منذ أن رافق والديه في رحلتيهما الأخيرتين في كتابه الأخير، يبدو منطلقًا أكثر. منذ أن أتمّ إبداعه الأخير، قصة عن الحب والعتمة، يبدو مرتاحًا وصافيًا وحادًا، يفيض على شطآن نفسه. دافيد غروسمان من جهته يحني برأسه باستسلام كالتلميذ في حضرة أستاذه. يرضى بانضباط وبتهذيب وباحترام شديد، بالمرجعية المفهومة ضمنًا، للمايستر، للمعلم، لكهل القبيلة. مرّ وقت غير قليل قبل أن يتحرر هو أيضًا ويرتاح في الكرسي التي في قبو الكتابة الشهير. قبل أن يتجرأ على اقتحام سيل الحِكَم غير المنقطع، الخارج من الينبوع المتدفق عوز.

قبل أكثر من سنة ونصف السنة كانت بينهما مواجهة صغيرة. عوز فكر أنه من الصواب مقاطعة ساراماغو اللاسامي، غروسمان فكر عكس ذلك. هكذا الأمور بينهما في الغالب: عوز مركزي أكثر، مؤسساتي أكثر، ونقدي أكثر بكثير فيما يخص أوروبا واليسار. ولكن في نهاية المطاف، كلما طالت المحادثة، إتضح أن الاختلافات في الرأي بين الاثنين ليست عميقة. الاثنان يصوتان لـ «ميرتس »، الاثنان ينفيان حق العودة، الاثنان يدعمان مسار كلينتون. الاثنان يعترفان بأخطاء اليسار ولكنهما يدّعيان صواب طريقه على الرغم من ذلك. عوز يدعم الانسحاب أحادي الجانب، غروسمان يقترب أكثر من جهود بيلين السياسية مقطوعة النظير. عوز يشدد بعناد على نوع ما من التفاؤل، غروسمان يسمح لنفسه بأن يكون تشاؤميًا أكثر. عوز يصوغ كلامه بانتقائية كبيرة تليق بكاتب – سياسي، غروسمان متردد وشخصي أكثر. المنطق والبلاغة عند عوز مكتملان، عند غروسمان التناقضات تأسر اللبّ.

هل أجريا حساب نفسٍ حقيقيًا؟ في كتاب من مجموعة مقالات نُشر مؤخرًا («في الواقع توجد هنا دولتان ») حاول عوز أن يبني فهمًا واستيعابًا حمائميين مرتبين لما بعد الانفجار الكبير. حاول أن يؤسس لاقتراح «نهاية احتلال»يكون بوسعه أن يكون ممكنا في غياب نهاية للصراع أيضاً. ولكن من الواضح أنه وضيفه الذي يصغره سنًا لم يصحُوا من الصدمة بعد. ما زال الاثنان «دائخين »، بين الانقاض. يحاول الاثنان بطرق مختلفة أن يواجها الحياة معدومة الأمل، الحياة في ظل الرعب.

* عودة القدر اليهودي

– سؤالي الأول بسيط: ما الذي يخيفكما اليوم أكثر من أي شيء وهل هناك أمل؟.

عوز: «الأخبار السارة أنه وللمرة الأولى في سنوات الصراع التسعين يعرف الجميع ماذا سيكون الحل. السنوات السيئة كانت في الوقت الذي لم يستطع فيه الفلسطينيون أن يلفظوا كلمة إسرائيل ولم يستطع اليهود أن يقولوا كلمة فلسطينيين. اليوم، يعرف اليهود أن الفلسطينيين لن يختفوا والفلسطينيون يعرفون أن اليهود لن يختفوا. لقد تبخر وهم أن يختفي الآخر. والجميع يعرف بالضبط ما سيكون عليه الحل. يعرفون حتى أين ستمر خطوط التقسيم».

– إذا كان الحال جيدًا جدًا كما تقول، فلماذا هو سيئ جدًا؟

عوز: «لأن المريض جاهز للعملية مع بعض الزيادة والنقصان، لكن الجرّاحين جبناء. لا أذكر زمنًا من الحضيض العميق عند القياديين في الشعبين. لو كانت اليوم قيادة تقول تعالوا لنفعل ما يعرف الجميع أن علينا فعله، لتحقق الأمر في غضون أشهر. الجميع يعرف أن غالبية المستوطنات ستُخلى، أن بعض التكتلات الاستيطانية ستبقى مقابل مبادلة أراضٍ، أنه لن يكون حق عودةٍ جارفٌ. فلماذا الانتظار إذن؟ ماذا ننتظر؟

«المصيبة، وأنا لا أستخدم هذه الكلمة بسهولة، المصيبة كامنة في الخوف الشخصي عند المجموعات القيادية. وعند القائدين الشخصين أيضًا. «شار–عفات» أسميهما. مستر «شار–عفات»(شارون وعرفات). ويمكن بالتأكيد القول عنهما إنهما على نفس الشاكلة، لأن لدي شكاً عميقاً بأن الاثنين يفضلان هذا الواقع على الواقع الذي سيلي الحل. الاثنان لا يعرفان كيف سيعيشان الصباح الذي سيلي الحل، ولذلك فإنهما لا يستطيبان هذا الصباح. ما يبدو لي ولك كشروق جديد، هو بالنسبة لهما غروب ».

– دافيد غروسمان، هل توافق على ذلك؟ ما قيل يبدو تفاؤليًا نسبيًا. كل المشكلة تُختزل في شارون وفي عرفات.

غروسمان: «أنا أوافق على أنه يوجد هنا جُبن شخصي عند الشخصين اللذين يتمتعان بصبغة الشجاعة، والصمود وقت الخطر. أنا أوافق أيضًا على أن الاتفاق قد يكون قريبًا. لأنه معروف من جهة، ولأن الأميركان ملّوا والعالم ملّ، ويمكن أن يفرضوا علينا حلاً. لكنني متشائم أكثر من عاموس. أنا أخشى من أنه حتى حين نتوصل إلى سلام، ألا يكون هذا السلام ورديًا، بل سلام غير دائم. سيكون عندها سلسلة من المخاضات بفترات سلام، وبعد ذلك خرق هذه الفترات، وبعد ذلك سلام آخر. إلى ان نصل إلى ما يشبه الاستقرار نكون قد ذهبنا. ليس خلال حيوات من يجلسون في هذه الغرفة.

«سألت عمّا يخيفني أكثر من أي شيء. ما يخيفني أكثر من أي شيء هو أن ثقتي بوجود إسرائيل قد اهتزّت. هذا الشك كان موجودًا دائمًا. أنا أعتقد أن كل إنسان يعيش هنا، يعيش بموازاة البديل بأن إسرائيل لن تكون. هذا هو كابوسنا. ولكننا مع مرور السنين صممنا هذا الكابوس وألصقناه وموّهناه. وما حدث هنا في السنتين الأخيرتين، مع الاستيقاظ الكبير للمفاهيم والقيم والادراكات، أن الاحتمال بتوقف وجود إسرائيل صار فجأة ملموسًا. هذا لم يعد هلوسةً. لم يعد كابوسًا. هناك احتمال بأن تكون جرت هنا تجربة كبيرة، بطولية، ولن تستمر. هذا الأمر يخيفني جدًا ».

– جسّد لي ما تقوله. متى لفّك في السنتين الأخيرتين هذا الخوف الوجودي؟

غروسمان: «ماذا فعل بنا الاحتلال!».

غروسمان: «في الكثير من المرات. أنا أعتقد أنه في مهب هذا الكم من العنف، تفتّتتْ هنا طبقة من الثقافة كانت تُمكّن من وجود الأوهام الضرورية لتسيير نسيج حياتي محتمل أكثر. خذ ما حدث في اللجنة المركزية للانتخابات أو في برايمريز «الليكود ». أنت تكتشف فجأة أن الحياء قد اختفى. أن أنظمة المداهنة الاجتماعية اللازمة لتسيير نسيج حياتي، قد اختفت هي أيضًا. وبشكل أو بآخر، كل هذا متعلق بالحياة تحت الارهاب. لأنه إذا كنت تحيا في واقع ترى فيه الناس يتمزقون، فإنه من الصعب جدًا عليك أن تستمر في ايمانك بشيء ما. عندها ترى كيف تتفكك كل المنظومات: الخاصة بالجسد الخاص والخاصة بالجسد العام. وعندها تستخلص أنه ومن أجل وجود الثقافة، وخاصةً من أجل وجود الديمقراطية، نحن بحاجة إلى نوع معين من الوهم باتفاق اجتماعي مبني على الكثير من الإرادة الطيبة. اهتزّ هذا الأمر عندنا. ببساطة، إهتزّ. وعندما أسمع الآن عن الأصدقاء الذين يرسلون أبناءهم إلى خارج البلاد، وعندما يستحسن الناس أن ابنك في الهند، وليبْقَ هناك، فإن في ذلك تشكيكا كبيرا لكل ما اجتمعنا من أجله هنا. نحن لم نجتمع هنا لكي نضطر لارسال أبنائنا إلى خارج البلاد. لكي نرغب بأن يكونوا في الهند. نحن اجتمعنا هنا لكي تكون الغريزة بالبقاء وليس الهرب، حتى في حالات الخطر. واليوم هذا ليس مفهومًا ضمنًا ».

عوز: «شعوري يختلف عن شعور دافيد. مخاوفي الوجودية ليست بعد مخاوف يهودية إسرائيلية؛ هذه المخاوف أيضًا تعوّلَتْ. لكنني بدأت بالأخبار السارة وسأنتقل إلى الأخبار السيئة. هناك عدة ساعات كبيرة تُتكتك: أولا، هناك موجة من الكراهية تغمر ليس فقط «حماس»والكاهانيين. هذه موجة عالمية. التجسيد الأنصع والمزعزع لها هو الأصولية الاسلامية. من بين ٢٩ نزاعًا تُسفك فيها الدماء اليوم في العالم، في ٢٧ منها هناك طرف واحد مسلم على الأقل. من الشيشان وحتى الصومال، من الجزائر وحتى الفيليبين. لكن الاسلام ليس وحيدًا. هناك تطرف مسيحي مع بيانات لاسامية أوروبية وهناك تطرف ديني – قوموي يهودي. وكل هؤلاء يشبهون بعضهم البعض بعدة معانٍ. كلهم علامات إستفهام متنقلة.

«هناك أيضًا ساعة ما بعد حداثية تضع كل ذلك في رؤية نسبية. وربما توجد علاقة بين الاثنين. تطرف واحد يولّد تطرفًا ثانيًا. إما أن تكون هناك حقيقة واحدة ومن لا يوافق عليها يجب قتله، وإما أن كل شيء هو حقيقة والكل متساوٍ وللقتلة أيضًا حقٌ بأن يقتلوا. انتبها إلى أن هناك علاقة غريبة بين مجموعات ما بعد حداثية متطرفة وبين مجموعات أصولية. أحيانًا، عندنا أيضًا هناك دعم من طرف مجموعات تقدمية جدًا لمجموعات عنيفة جدًا. لكن هذه الساعة لا تُتكتك في البلاد فقط، وإنما في كل العالم.

«الساعة الثالثة التي تثير قلقي هي ساعة العولمة. لا أقصد تلك العولمة التي يحتج عليها المحتجون، ولكن أقصد العملية الكبيرة لاستغباء الجنس البشري كله. جهاز لغسل الأدمغة لم يسبق له مثيل على ما يبدو. جهاز مبني على إثارة– الشهية، وهو يحل محل كل ما عرفناه كثقافة. لذلك، يا دافيد، عندما تتحدث عن انعدام الثقافة، فإن هذا ليس متعلقًا فقط بـ «حماس»وبالجثث المبترة. هذا متعلق بالشعور بأننا وُلدنا لكي نشتري أو نبيع وبالشعور بأن كل شيء عابر. بهذا الاستغباء الفظيع الذي يغمر البشرية كلها.

«سأقول أمرًا غير شائع: ليست هناك ثقافة بدون هَرميّة. ليست هناك ثقافة عن طريق التصويت وليست هناك ثقافة بحسب استطلاع للمشترين وليست هناك ثقافة بحسب الريتنغ (الانتشار). ليس هناك أمرٌ كهذا. لذلك فإن خوفي ليس محليًا. من الواضح أنه في عالم الحرب العالمية الرابعة، عالم يستطيع فيه شخص مع مغلف من الجراثيم أو السم الكيماوي أو التلويث الاشعاعي أن يهدد بلدًا بأكمله، فإنني أخاف جدًا. لكن هذا الخوف ليس ذلك الخوف القديم، «البوغروم »، من أن يأتي الأغيار مع بلطات ويقتلونا. الحديث ليس عن الخوف من تدمير إسرائيل ».

– متى شعرت مؤخرًا بالخوف القديم إياه؟

عوز: «في اليوم الثالث أو الرابع من حرب الغفران، عندما رأيتُ السوريين يتقدمون في هضبة الجولان ونحن نهرب. أذكر أنني لم أعرف عندها من سيوقفهم. الخوف كان حقيقةً خوفًا وجوديًا وبالتأكيد خفتُ عندها، ليس فقط على حياتي وإنما على نيللي والأولاد وعلى كيبوتس «حولده» وعلى كل البلاد. أذكر أنه عندما جلسنا إلى جانب جسر «بنات يعقوب »، سخرنا من أن من سيوقف الجيش السوري في الخضيرة هو الجيش المصري. اليوم، أنا لا ينتابني مثل هذا الخوف، لا أشعر بأن دولة إسرائيل تواجه خطر التدمير ».

غروسمان: «مثل عاموس عوز أشعر بأنه في الحادي عشر من ايلول ٢٠٠١ بدأ ما يشبه الحرب العالمية بوتيرة بطيئة. حرب ما زلنا لا نستوعبها حتى النهاية. وهناك شعور ما عالمي بأن شرخًا حدث في النظام القديم ونحن ننظر إلى الداخل ونرى كل الأمور التي خشينا من رؤيتها. الفوضى آخذة في الازدياد.

«لكن في نظري، ومع ذلك، هناك تميز ما للخوف اليهودي والاسرائيلي في السنتين الأخيرتين. أرجو ألا أسمع كمريض بالملاحقة، لكن إحساسي هو ان شيئا ما تغير فينا بأنه منذ اندلاع الانتفاضة وما اعقبها من اندلاع الموجة اللاسامية والتهجم على إسرائيل في العالم. أنا أعتقد أن الاسرائيلي الحديث في سني، الذي اعتقد أنه كونيّ، أنه أممي، أنه جزء من شبكة الانترنت وعنده الصحون الفضائية وMTV، بدأ فجأةً بالاحساس كيف أن الجزء التراجيدي من القدر اليهودي يضيق عليه ثانيةً. فجأةً، علقَ في داخل أمرٍ اعتقد أنه لم يعد موجودًا».

«يا عاموس، لا يمكنك تجاهل أننا ننغلق هنا تدريجيًا، نتيجة تهديدات ونبذ.

«كانت هناك دائمًا صعوبةٌ في التعامل معنا نحن اليهود، كبشر. كان هناك دائمًا إقصاء لنا وكانت هناك مثالية لكن الأمرين هما في واقع الأمر أشكال مختلفة لإلغاء الانسانية. والصهيونية على الرغم من ذلك شفتنا من ذلك. الصهيونية أعادتنا إلى العملي، إلى الانساني وإلى التاريخي. وها نحن الآن نعود ثانيةً إلى ذلك المكان الرمزي، وهذا يبدو لي خطيرًا. وهذا يقوي أيضًا من الشعور بالملاحقة الموجود فينا أصلاً، ويمتصنا إلى الجرح الذي في اليهودية.

* النفور الجارف عند اليسار

– عاموس عوز، أنت كتبتَ عن هذه المشاعر قبل الانتفاضة بكثير.

عوز: «كان لدي دائمًا الشعور بأننا على جليد دقيق، بأننا مع وقف التنفيذ. متعلقون بالسلوك الحسن، ببنك ذكرى الهولكوست. سأقول كالتالي: هناك أوساط كبيرة في العالم العربي وربما في الاسلام أيضًا، لم تتغلب بعد على الاهانة الكبيرة التي سببها قيام إسرائيل في العام ١٩٤٨، هذه الهزيمة كانت في نظرهم تتويجًا لثماني مئة سنة من الاذلال. ثماني مئة سنة لم يفوزوا بها في معركة خارجية واحدة. منذ صلاح الدين، ولا معركة واحدة، ليأتي هذا الفأر، هذا الحقير، ويهزمنا؟ ليأتي اليهود ويهزمونهم. ومرة أخرى ومرة أخرى ومرة أخرى. بحيث أن هذا مفهوم في العالم الاسلامي، هذه إهانة.

«في العالم المسيحي، الأمر أعمق بكثير. لأنه في الرواية المسيحية، هناك عنصر عميق ومظلم. الناس تكبر في الدين المسيحي على قصة تقول إن هناك من يستطيع أن يقتل الله. والذي بامكانه أن يقتل الله هو أيضًا قوي جدًا وذكي، فوق – إنساني، لكنه سيئ أيضًا. فمن يود قتل الله؟ الذكي والشرير. الملايين من الأطفال المسيحيين يفتحون عيونهم في كل العالم، والصورة الأولى التي يرونَها هي لشخص ينزف دمًا على الصليب. وعندما يفهم الطفل المسيحي أن هذه صورة الله المحتضر، يسأل من هو المجرم، من فعل ذلك لله، وهذا يتسرب أيضًا لمن هم ملحدون. لأن الناس الذين انتقلوا إلى هامش اليسار ولم تطأ أقدامهم أرض الكنيسة، تربوا على حليب الأم هذا. ليس معنى هذا أنهم لاساميون بالمعنى الاعتيادي للرغبة في قتل كل يهودي، لكن لديهم نوعًا من الخليط بين الاعجاب والخوف. وأحيانًا، لديهم سقف مرتفع جدًا من المطالب الاخلاقية تجاه اليهود. وكأنه بعد أن برأنا ساحة اليهود من المسؤولية عن الصلب الجماعي للمسيح وأنزلناهم عن الصليب وأخرجنا منهم المسامير، فإن عليهم أن يثبتوا أنهم يستحقون هذه البراءة.

«هنا يكمن الأمر العميق: ما عدا إسرائيل، ليست هناك أية دولة في العالم وجودها مشروط ومع وقف التنفيذ. لإسرائيل يقولون، إذا تصرفتِ كذا وكذا، فإن لكِ حق الوجود. إذا لم تتصرفي– فليس لك الحق وكل ما كان كان من باب الخطأ. أحسِنوا التصرف – تعيشوا؛ أسيئوا التصرف – تتفككوا. لم يقل أحد ذلك عن ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية.

– أنت تدّعي أنه في وسط المثقفين اليساريين الحمائميين في إسرائيل، هناك نوع ما من الترداد للتوجه المسيحي اللاسامي تجاه دولة اليهود؟

عوز: «في فترة الفظائع التي ارتكبتها فرنسا في الجزائر، كانت الطبقة المثقفة في فرنسا بائسة. وهكذا الأمر بالنسبة للطبقة المثقفة الأميركية خلال حرب فيتنام. ولكن لم أرَ في أي مكان ما أراه هنا: هذا الكم من الكراهية للتجربة الذاتية كلها. ليس للسلطة، بل للتجربة الذاتية كلها. عند قسم من المثقفين الاسرائيليين الراديكاليين أرى اليوم كراهيةً ليست تجاه المتدينين والمستوطنين واليمين والقوميين فحسب، بل أرى كراهيةً جارفةً للهندسة المعمارية، للموسيقى، للأغاني الشعبية، للذكريات، لكل شيء. للشوارع التي يمشي فيها الناس. للحافلات التي يسافر فيها الناس».

غروسمان: «أنت تبالغ»

عوز: «ربما كنت أبالغ في كلمة كراهية. ربما الكلمة الأدق هي كلمة نفور. لكن النفور جارف. وأنا أرى هنا حقيقةً. عند قسم من المثقفين الراديكاليين، أمرًا ما ينضم إلى الملاحقة العامة التي تقول إن إسرائيل هي مشروطة. إذا ما كانت قطعة حلوى – نعم، لديها حق في الوجود. لكن إذا لم يكن هذا الكيبوتسات ولا معهد وايزمان ولا الشعراء والأدباء – إذن ما الجدوى من كل ذلك؟ لماذا يجب أن يكونوا، هذا لا يقوله أحد عن اليمن. لا أحد يقول أمرًا كهذا عن أيسلندا. وهنا يختبئ أمر ما يثير حفيظتي جدًا. يثير حفيظتي عندما يأتي من الداخل أكثر مما يثيرها عندما يأتي من المثقفين الأوروبيين المسيحيين ».

غروسمان: «أعتقد أنك تبالغ. هؤلاء الناس يقولون ما يقولونه من قلب متألم. هم يتألمون لما يجري هنا. يتألمون للبون الشاسع بين الحلم وبين الواقع. وهم ليسوا كُتُّرًا أيضًا، وغير مهمّين جدًا. لذلك فإن ما يثير اهتمامي أكثر هو كيف أننا بعد ٥٤ سنة من الاستقلال، ما زلنا على اشتراط. كيف أننا لا نؤمن حقًا بوجودنا. يخيل لي أن هذا هو السؤال الجوهري. ماذا يعني هذا الشيء؟ هل لدينا كيهود جينة وراثية تجعلنا غير قادرين على البقاء حقًا في مكان واحد؟ في الواقع، طيلة الوقت كان لدينا هذا الأمر، انعدام السكينة، هذا الأرق. ما يشبه عدم الحسم فيما إذا كنا شعبَ مكانٍ أم شعب زمنٍ. وفي المنفى قررنا أننا شعبَ زمنٍ. شعب العالم. ولكن حتى عندما أتينا إلى هذا المكان لم ننجح مع ذلك في بلورة الاحساس بالهوية لدينا كشعب مكان.

«انتبها لهذا الاسم: أرض الميعاد. هذه الصياغة تدل على استمرارية للأبد. هذه ليست أرض الوعد وليست الأرض التي وُعد بها، ولكنها الأرض الموعودة إلى الأزل. هذه أرض لا تصل إليها أبدًا ».

– هل تنظر إلى حولك وتشعر بأن كل شيء هشٌ؟

غروسمان: «هنا يغلب موضوع العُطب في طابعي الشخصي: أنا أشعر دائمًا بأن كل شيء هش. عند الكتاب، يحضر البديل بشكل طبيعي. الاحتمال الدائم ربما بمقدم المصيبة. لكن ما يقلقني اليوم هو ليس التفكير المبسط عن هذا الموضوع، وإنما ما أراه كضياع التضامن الاسرائيلي. الشعور بأن ما كان يومًا جسمًا إسرائيليًا واحدًا، تحول إلى شظايا. وكل شظية تهتم الآن بنفسها، وفقط بنفسها. كل واحد يكشط لنفسه حصته الصغيرة ويتلذذ بها. حاييم غوري قال مرةً في حديث معك إنه كانت هناك سذاجة وبراءة عند أبناء جيله. اليوم، هذا الأمر معدوم. ليس لأنه لا يوجد أي شعور بالتضامن، وإنما لا توجد أية هارمونيا اجتماعية. كما أن الهيبة من القانون معدومة، ليست هناك روح شعب مشتركة. شعوري هو أن الجسم العام يتفكك ».

– عاموس عوز، أنت أيضًا تخشى من تفكك الدواعم الاجتماعية عندنا؟

عوز: «في كل خلية حياة هناك قوى تكامل وهناك قوى تفاضل: التكامل يمسك باليد والتكامل يشدّ للانقطاع عنها. في اللحظة التي يتغلب فيها التفاضل على التكامل يُحسم مصير الخلية. لذلك، فإن ما يقوله دافيد صحيح. الخوف الحقيقي اليوم من أن يضعف التكامل الاسرائيلي وأن يتقوى التفاضل.

«لكنني أريد أن أطور هذه النقطة خطوة أخرى: هل كل ما ذُكر هو نتيجة للانتفاضة فقط؟ هنا أيضًا لديّ حساب مع عنصر معين في شريحة المثقفين اليسارية الاسرائيلية. قلت آنفًا إن هذه الشريحة تبث نفورًا جارفًا. لهذا النفور ثمن. لأن النفور يجر نفورًا، وغضبًا ومهانةً. وعندما يُرى النفور كنفور فوقي يكون أكثر دمارًا. المهانة التي تسببها تكون أثقلَ. فهذا النفور في النهاية موجه من الذين يملكون إلى الذين لا يملكون. هذا النفور يأتي ممن ما زالوا يُرَوْن كأسياد البلاد وهو موجه ضد الذين يقفون في الطابور: الحريديم، والمستوطنين، والشرقيين.

«أنا أقول إننا سنخسر هذه الانتخابات، ومن ضمن مسببات خسارتنا، ما أشعناه طيلة الوقت من نفور تجاه كل من ليس مثلنا. ما مضمونه: لا نريد رؤيتكم. غيبوا عن عينيّ. لا تكونوا هنا. في نظري هذا مسؤولية ثقيلة جدًا، أخلاقية، تتحملها شريحة من المثقفين الاسرائيليين. لأنها خلال كل الوقت الذي شعرت فيه بأنها تتحكم بالأمور، لم تبث مثل هذه الأمور. هذه الشريحة بدأت ببث هذه الأمور بعد أن شعرت بأنها تفقد زمام السيطرة. وهنا المكان لحساب نفس عسير جدًا لأن هذه الشريحة هي التي قوّت من التفاضل. وعندما تقول ما تقوله، يا دافيد، عن التفكك وانعدام الحياء، هكذا تكون النتيجة. اللجنة المركزية للانتخابات ومركز «الليكود»هما النتيجة (..)

* أخطاء اليسار، ذنب اليمين

– أود السماع عن السيرورة السياسية الشخصية لكل واحد منكما. عن سيرتيكما الذاتيتين كيساريين. متى تشكلت المنظومة الحياتية لديكما، وكيف تطورت وماذا حل بها في السنتين الأخيرتين.

غروسمان: «كنت في الثالثة عشرة عندما اندلعت حرب الأيام الستة. أذكر الخوف الذي سبقها. أذكر التجسيد الفعلي لامكانية أن يلقوا بنا إلى البحر. في الشتاء الذي سبق الحرب بدأت بتعلم السباحة في جمعية الشبان المسيحيين في القدس، لأن هذه الامكانية كانت حقيقية. السباحة بدت لي كخيار يمكن أن يصير حقيقيًا.

«بعد ذلك جاء الاحتلال. وفيما يخص جيلي، كان هناك نوع من الدمج بين الطاقات الجنسية المراهقة مع طاقات الاحتلال. لا يمكن تجاهل هذا الأمر: فجأة هذا الولوج وكسر التابو والدخول إلى تلك الأماكن المقدسة. شيء ما يشبه الايروسية في الملامسة بين المحتل والمحتل. أنا اذكر تمامًا الشعور الجسدي، الشعور بالقوة. وبالمقابل، كان هناك القلق. والداي المابائيان (من حزب «مباي »– المحرر) توجها في حينها إلى اليمين أكثر فأكثر، نتيجة للقلق. وخلال خدمتي العسكرية كنت انا أيضًا ما يسمى اليوم باليمين. خدمت في المخابرات وعرفت ما يفكر به العرب عنّا. لم يفكروا عنا أشياء حسنة جدًا. وحتى اليوم ما أزال على معرفة بقلق اليمين.

«بالنسبة لي، جاءتني الصدمة في حرب لبنان. في البداية وافقت تمامًا على الشعار بأننا خارجون إلى حرب لقطع دابر الارهاب. لكن عندما خدمت كجندي إحتياط في قرية صغيرة في القطاع الشرقي بدأت برؤية أمور لم أود سابقًا رؤيتها. وفجأةً، انفجر خارجًا كل ما عملت على كبته وإنكاره.

«هناك لحظة واحدة معينة لا يمكن نسيانها. بعد فترة ما من عودتي إلى البيت في القدس سافرت في الحافلة من «تلبيوت»(حي الطالبية في القدس– المحرر) وتوقفت الحافلة إلى جانب حافلة قادمة من بيت لحم أو الدهيشة. وفجأة رأيتهم. وقفنا حافلة مقابل الأخرى وفجأةً رأيت الناس الذين جلسوا في تلك الحافلة. رأيتُ وجوههم، رأيتُ يأسهم. كان لدي شعور قوي بأنهم يشبهون الأشباح. كأنما امتصّت منهم كل الحياة التي بهم. تأملتُ وقلت إنه هكذا يكون الانسان المحتل.

«عندما كتبتُ كتاب «ابتسامة الجدي» في العام ١٩٨٣ كنت قد جربت فهم مرض الاحتلال. سألتُ نفسي كيف يُعقل أن شعبًا، هو شعب أخلاقي في نظري، يصل إلى هذه الدرجة؟ وكيف أن الطرفين عوّدا نفسيهما على تطوير نظرة «بيضاء»لا ترى. فالمحتل (صيغة المفعول) يخجل من وضعه والمحتل يفضل أيضًا ألا يعرف ما يفعله. عندما وصلتُ إلى الدهيشة، خفت جدًا في اللحظة الأولى من الزمن الأصفر («الزمن الأصفر» هو إسم كتاب كتبه غروسمان وفيه كتابات أدبية – صحافية عن المناطق المحتلة، وقد ترجمه محمد حمزة غنايم الى العربية وصدر عن «دار الشفق» في العام ١٩٨٩). وقفتُ هناك ما يقرب الثلاث ساعات محاطًا بأناس شكّوا فيّ جدًا. بالنسبة للعديد من الأطفال كنت الاسرائيلي الأول الذي رأوه بدون البزة العسكرية. إلى أن جاءت امرأة مسنة وكأنها فهمت أمرًا ما واخترقت دائرة الرجال وقالت لي: تعال. أخذتني إلى كوخها. وبدأت بالحديث والحديث. وهناك فقط، فجأةً، تشكلت تجربة عاطفية. بعد كل التفسيرات وبعد كل الادعاءات لصالحنا وضدنا، فجأةً، انساب أمر ما هناك. تدفقت العاطفة. تشوقوا جدًا لكي أعترف بمهانتهم ».

– الآن، ماذا كانت الصدمة الأصعب في السنتين الأخيرتين المنصرمتين؟

غروسمان: «اللينش في رام الله. كان هذا ما يشبه نقطة إنكسار عندنا جميعًا. انبعاث للمخاوف الأكثر عمقًا والاستعداد للاستسلام للأفكار المسبقة. الاستعداد للقول إنهم جميعًا كذلك. لكنني رأيتُ في مثل هذا التفكير استسلامًا. اليوم أيضًا أرى فيه تنازلاً. وأنا أومن بما يشبه الصمود عند السلام. عدم التهاون، عدم التنازل. الاستمرار في الايمان باحتمالات حل عقلاني ».

– هل هناك لحظات تشكك فيها بذلك؟

«غروسمان: «طبعًا. أحيانًا أقول لنفسي، إسمع، ليس هناك أي أمل. في عدة مفاهيم، ليس هناك أي أمل. أنا أنظر إلى خريطة إسرائيل الصغيرة، التي لا يمكن حتى كتابة اسمها عليها، التي يجب أن تلقي ببعض الحروف من اسمها لكي تتسنى لك كتابته، وأنظر إلى كل ما يحيط بها. الأصولية التي تندلع هناك. انعدام الديمقراطية في الدول العربية. حقيقة أن الشرق الأوسط لم يقبلنا فعليًا.

«لكني في نهاية الأمر أشعر بنوع من المهانة الشخصية في التنازل. لست أعمى عن نواقص شريكنا. لا أقع في خطأ التوهمات. كما أنه ليست لدي ثقة في النوايا الحسنة عند العرب. العرب لم يبادروا لأية نية حسنة تجاهنا ونحن لم نبادر تجاههم. لكن في ١٩٦٧ علقنا في متاهة في الوقت الذي نتحرك فيها طيلة الوقت. ونحن نكرر مرةً بعد أخرى الأخطاء ذاتها. وأنا أعتقد أنه مع كل قوتنا العسكرية يجب أن نملك الشجاعة للخروج من هذه الدائرة. أن نتوقف عن التأرجح للحظة بهذا الغصن، قبل أن نمسك بالغصن الثاني وهو الأيمان بالسلام. ونحن لم نملك الجرأة لتنفيذ هذا الانتقال الشجاع حتى اليوم. نحن ما زلنا خائفين ».

– في نهاية الأمر، هل فشل اليسار أم فاز؟ هل أخطأ أم كان على حق؟

غروسمان: بشكل واضح، اليسار فشل لكنني فخور بأن أكون جزءًا من هذا الفشل. من توجه إلى أوسلو عرف أنه في الما بين. أنه من الصعب جدًا حل نزاع من مئة سنة في ضربة واحدة.

«كان لليسار خطآن أساسيان: ثقة أكبر من اللازم بالعقلانية، تكاد تكون مثلنة العقلانية، وخطأ أساسي في تقدير القوة. يبدو لي أن اليمين يملك في هذا المنحى غريزة أصح بما يخص القوة وبما يخص أهمية قوة الردع. هذه مهمة في المنطقة العنيفة والأصولية التي نعيش فيها. لكن أخطاء اليسار في نهاية الأمر كانت في التفاصيل. وربما أيضًا في تقدير شخصية عرفات، الذي يبدو أنه إرهابي في دمه. مقابل ذلك، أخطأ اليمين في الصورة الشمولية. اليمين آمن بأنه من الممكن إقامة سلطة احتلال، ولذلك، في الحساب الأخير، ليست لدي أية ترددات فيما يخص مكان تواجدي وما علينا فعله.

وأمر آخر: تحدثنا آنفًا عن تجربة الضحية وتجاهلنا ما تمكنه هذه التجربة. كرد فعل للعداء تجاهنا حولنا الضفة إلى معتقل واحد كبير وقمنا بأفعال تقترب من الجرائم بحق الانسانية وعبرنا هذا الحد أكثر من مرة. كمجتمع، أدخلنا قيمنا المتنورة إلى ثلاجة. غرقنا في غيبوبة أخلاقية. وفي المحصلة أكدنا أفكاراً مسبقة لاسامية عن اليهودي الذي يكره الغرباء والمتآمر والعنيف وغير الصادق والامبريالي. يجب أن نوقف كل ذلك. علينا أن نخرج من هذا».

عاموس عوز وغروسمان.

– عاموس عوز، ماذا كانت الصدمة الأكبر بالنسبة لك في السنتين الأخيرتين؟ هل حدث أمر ما هدد منظومتك الحياتية؟

عوز: «أنظر. بعد ثلاثة اسابيع من حرب الايام الستة تأسست اللجنة للسلام والأمن. فكرة دولتين لشعبين. أنا وآخرون ادعينا إنه إذا سرنا في هذه الطريق التي نعرضها، فإنه سيكون سلام بيننا وبين الفلسطينيين. ادعيت هذا الادعاء لأكثر من ثلاثين سنة. اليوم. ما زلت أقول إن علينا إقامة دولتين، ولكنني لست متأكدًا من أن هذا سيجلب السلام. في أفضل الحالات، فإن هذا سيجلب السلام، وفي أسوئها سيؤدي بنا إلى إدارة حرب واحدة نكون فيها صادقين حتى النهاية، بدلا من إدارة حربين نكون غير صادقين في واحدة منهما».

– هذا تغيير جوهري. في الواقع هذا الأمر يعني أن هذه الانتخابات هي الانتخابات الأولى التي لا يعد فيها اليسار بالسلام. انسحاب، وليس سلام.

عوز: «باستطاعتي أن أتحدث عن نفسي: أنا انسحبت من طرف واحد. تراجعت من طرف واحد عن أمر قلته خلال أكثر من ثلاثين سنة، لأنني افترضتُ أنه لو عُرض على الفلسطينيين ما عرض عليهم أيهود باراك في كامب ديفيد، فإنهم سيردون بعرض مقابل. لم أفكر للحظة، وأعترف بذلك، بأن اقتراح حل من دولتين وعاصمتين وإعادة ٩٢ أو ٩٥ أو ٩٦ بالمئة من الأرض ستستخدم كزناد لموجةٍ من الحرب ضدنا. هذا الأمر زعزعني جدًا وبعمق».

– برؤية استرجاعية، أوسلو كان خطأً؟

عوز: «أنا أدعي أن أوسلو لم يحظ بيوم واحد من الرحمة. فورًا، وقبل ان يجف الحبر على الورق، خطط هؤلاء للجهاد ولغسل الدماغ من أجل الجهاد، وهؤلاء خططوا للمستوطنات. لذلك أنا لا أعتقد أن أوسلو فشل لأن أوسلو لم يُجرّب أبدًا. هذه السفينة لم تُدشن أبدًا.

«أنا لا أقبل أيضًا بأن اليسار لم يستخلص العبر. عندما يقول زعيم حزب «العمل» إنسحابًا أحادي الجانب من المناطق المحتل

المشهد الاسرائيلي
www.almash-had.org/com
الثلاثاء ١٤/١/٢٠٠٣م الموافق ١١ ذو القعدة ١٤٢٣هـ، العدد التاسع، السّنة الثامنة

"ملفات لبيد": تصعيد في حرب "شينوي - ميرتس"

مؤخرا، قام طاقم الدعاية الانتخابية في حزب «العمل» بإعداد ملف يحتوي على مجموعة مميزة من التصريحات اللاذعة التي سجلها باسمه رئيس حزب «شينوي» يوسيف (طومي) لبيد، على مدار السنوات الأخيرة. أعد هذا الملف بعدما أدركت أوساط «العمل» أن المستائين من الفساد في «الليكود» يجدون في «شينوي» بالذات عزاء وملاذا لهم. وحيث أن «شينوي» يتمثل في شخص زعيمه «لبيد»، فقد توجه أفراد طاقم دعاية حزب «العمل» نحو التنقيب في كتاب لبيد «ما زلت أتكلم» وفي مقالاته وتسجيلات برامج التلفزيون والراديو التي شارك فيها كصحافي وكعضو كنيست، ليستقوا ويقتبسوا منها تصريحاته وتفوهاته المفرطة في حدتها والتي تثير حرجا شديدا.

وبالفعل فإن الاقتباسات والنصوص التي جرى انتقاؤها بعناية تصور لبيد كرجل سوقي، شوفيني، يمقت اليهود الشرقيين ويسخر من الفقراء.

محافل طاقم دعاية «ميرتس» بحثت بدورها أيضا في نفس الأماكن، ووجدت هي الأخرى أن لبيد إنسان متعجرف، وحقود ومسيء، وأن سهامه موجهة ضد الفقراء، حيث اقتبس عنه قوله لإحدى الأمهات خلال نقاش حول الفقر: «يمكنكِ بالأموال التي تنفقينها على تسريحات شعرك أن تعلمي أبناءك»!، وضد النساء اللواتي يتعرضن للضرب على يد أزواجهن كقوله «لا أعرف من أين جاء هذا الرقم الذي يتحدث عن وجود ٢٠٠ ألف امرأة يتعرضن للضرب (في إسرائيل)، لعل أحد علماء الاجتماع سمع أن جاره يضرب زوجته فاستنتج من ذلك أنه يوجد في كل بيت زوج واحد على الأقل يضرب زوجته»، وقوله عن الشرقيين، في معرض تعليق له على أغاني المطرب الشرقي عمير بنيون «نحن لم نحتل طولكرم، بل طولكرم هي التي احتلتنا».

«ملفات لبيد» المعدة في «العمل» و«ميرتس» سوقت للصحافيين من جانب طاقمي دعاية الحزبين في نفس الوقت تقريبا، لكنها لم تفلح في ترك أي انطباع على ناخبي «شينوي»، وهذا حسب استطلاعات الرأي العام على الأقل (التي أشارت إلى صعود جديد لحزب «شينوي» ليصل إلى ١٧ مقعدا حسب توقع استطلاع نشر الجمعة ١٠ كانون الثاني في «هآرتس»)، وكذلك بموجب الردود التي وردت إلى موقع «يديعوت احرونوت» الإخباري على شبكة الإنترنت، في نفس المساء الذي باشر فيه حزب «العمل» هجومه على زعيم «شينوي»، حيث علق أحد المتصفحين للموقع بقوله «هل صرح- لبيد - حقا بكل ذلك؟ الآن أنا متأكد من أنني سأصوت له».

هناك حزب آخر سيحاول الصعود على حساب قوة «شينوي» الانتخابية في أوساط الجمهور الشاب، وهو حزب «عليه يروق» - الذي يحظى، مثل «شينوي»، بشعبية واسعة في صفوف مصوتي المرة الأولى. حتى حزب «الوسط» الذي أحياه مؤخرا عضو الكنيست دافيد مغين لم يبق على الحياد إزاء التحدي الذي يمثله «شينوي»، إذ ركز في دعايته على مهاجمة طومي لبيد.

* «جبهة قومية إشكنازية»

وفيما عدا الأحزاب العلمانية، فإن «التحالف» الغريب ضد «شينوي» يشمل أيضا خصمه القديم، حركة «شاس»، إضافة إلى «يهدوت هتوراه» التي انضمت مؤخرا إلى هذا التحالف ضد «شينوي». ولعل سلوك الأحزاب الحريدية تجاه «شينوي» يدل على جدول الأعمال الخفي في حملة الانتخابات الحالية، والذي يركز على مسألتي: الوضع القائم (الستاتوس كفو) بين المتدينين والعلمانيين، والمسألة الطائفية.

تقول رئيسة طاقم الردود في حزب «العمل» الوزيرة السابقة يولي تمير: «أقر صراحة بأن شينوي غيّر تعاطي حزب العمل مع موضوع الدين والدولة». وتضيف إن «شينوي أيقظ المؤسسة السياسية في هذا الصدد، وبفضل هذه الصحوة تخلى حزب «العمل» عمليا عن الستاتوس كفو ليتقدم باقتراحات راديكالية في موضوع الدين والدولة». ويلاحظ الآن أن قائمة تعهدات حزب «العمل» لناخبيه العلمانيين باتت تشمل مواضيع مختلفة مثل الزواج المدني، وتسيير المواصلات العامة أيام السبت وفصل الدين عن مؤسسات الحكم وإلغاء وزارة الأديان. حتى شمعون بيريس، الذي يعتبر من أنصار التحالف التاريخي مع أحزاب «الحريديم»، صرح مؤخرا بأنه يشعر بخيبة أمل من «الحريديم» الذين تحولوا إلى مواقع اليمين المتطرف، حسب قوله، ولذلك - أردف بيريس - فإن «الخيار الأمثل في هذه اللحظة هو حكومة وحدة باشتراك الليكود والعمل وشينوي».

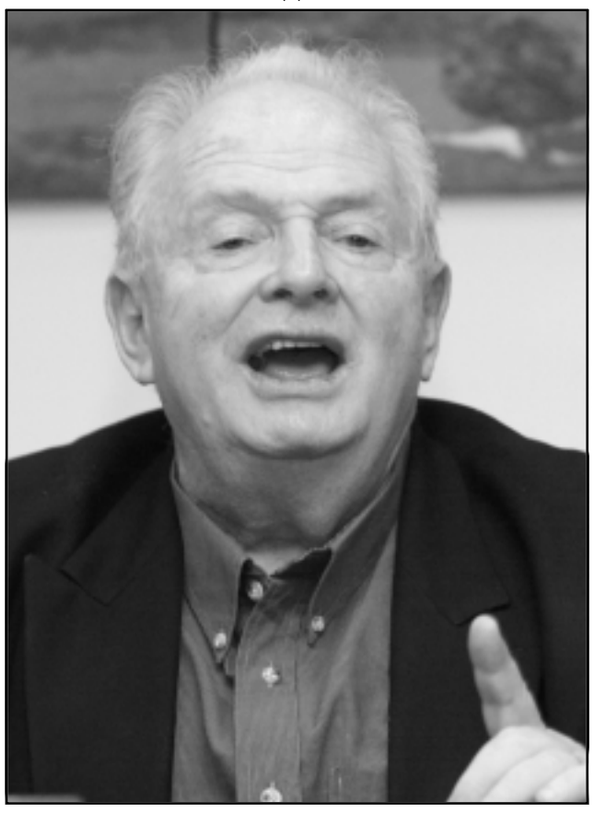

لبيد.. المستفيد .. و«المستهدف».

وحسب «تمير» فإن حزب «العمل» ينافس شينوي في مسائل جوهرية من قبيل تقديم جواب ملائم في مواضيع الدين والدولة، وفي المقابل يهاجم «العمل» حزب «شينوي» بهدف كشف القناع عن وجهه الحقيقي كـ «حزب مزاجي بالمعنى السيئ، لا يمتلك القدرة على إحداث تغيير، ولا يجيد سوى إثارة الكراهية والأحقاد فقط».

ويسعى «العمل» من خلال حملته ضد «شينوي»، إلى توجيه رسالة مؤداها أن من العبث هدر وتبديد الأصوات لصالح حزب ليس من الواضح من هم الناس الذين تتألف منهم قائمته، وكيف سيصوت هؤلاء في مواضيع السياسة والأمن.

ويتحدث درور شترنشوس، مدير حملة حزب «ميرتس» عن برامج دعاية إبداعية ضد «شينوي»، مشيرا إلى أن إحدى الدعايات تصور عرضا للأزياء تعرض فيه قمصان حسب آخر التقليعات: في السبعينيات قميص حزب «داش» («الديمقراطية والتغيير»)، وفي الثمانينيات قميص «تسومت»، وفي التسعينيات قميص حزب «الوسط»، وفي سنة ٢٠٠٣ - قميص حزب «شينوي»، وذلك في إشارة إلى أن جميع هذه الأحزاب ما هي إلا أحزاب مزاج، عابرة، حلقت في لحظة في سماء السياسة ثم ما لبثت أن اختفت في خيبة أمل ناخبيها. ويعتقد شترنشوس أن نسبة المصوتين الذين خسرهم «ميرتس» لصالح «شينوي» ليست كبيرة، غير أن أوساط «ميرتس» قررت هذه المرة التوجه إلى جمهور مصوتين واسع ومنوع قدر المستطاع بمن في ذلك مصوتو «الليكود» و «العمل» و «شينوي». كذلك استعدت أوساط «ميرتس» لاحتمال أن يحاول «شينوي» مهاجمة زعيم «ميرتس» يوسي سريد على رده السلبي القاطع على سؤال بشأن ما إذا كان سيجلس مع «شاس» في حكومة واحدة.

يشرح سريد في شريط الدعاية الانتخابية بأنه صرح بتلك الأقوال بعد الانتخابات وليس كتعهد قطعه للناخبين، مثلما يحاول لبيد تصوير ذلك، ويطلق زعماء «ميرتس» بين الحين والآخر تصريحات ضد «شينوي» ولبيد على أمل أن يترك ذلك في نهاية الأمر أثرا ما في وعي الناخبين. وعلى سبيل المثال فقد وصف سريد «شينوي» كحزب خطير لعدم التزامه بشيء، كذلك حاول سريد التحرش بـ لبيد حينما قال الأسبوع الفائت إن لبيد يتهرب من مناظرة تلفزيونية معه، لكن لبيد الذي لم يقع في ما بدا له كفخ، رد على ذلك بقوله: «الآن عندما وجد سريد نفسه في وضع صعب وحرج، أصبح بحاجة لمناظرة محاولا استغلالي.. لن أمنحه هذه الفرصة..».

يوسي بيلين أيضا، والذي يحتل المكان الحادي عشر في قائمة «ميرتس»، وصف «شينوي» بأنه ظاهرة خطيرة، وقال: إن انتخاب هذا الحزب يشكل تعبيرا عن عمق اليأس، لا سيما في صفوف الشبان. ويضيف بيلين، يجب أن يعرف الجمهور بأن شينوي «حزب يضم أناساً مجهولين» وأنه «سيعيق أي تحرك سياسي.. فخلف الصورة الليبرالية المزعومة، تقبع حقيقة شينوي كجبهة قومية إشكنازية تضم عناصر ومكونات تقترب من العنصرية».

ويرد لبيد على ذلك بقوله: إن بيلين إنما يفاقم بذلك فقط من وضع «ميرتس» الصعب أصلا.

* محافل «شاس» تغذي الكراهية

على العكس من التحدي الذي يمثله «شينوي» بالنسبة للأحزاب العلمانية التي تنافسه على مستودع الأصوات نفسه، فإن أوساط «شاس» تعتقد أنه كلما ازدادت قوة «شينوي»، ستزداد طرديا قوة «شاس» (وهو ما برهنت عليه الاستطلاعات الأخيرة التي سجلت انتعاشا في نسبة التأييد لحركة «شاس»). وقد عبر هذا الرأي عن نفسه إلى درجة أن المتحدث باسم «شاس»، إسحق سودري، بات ينعت لبيد بأنه «الحجاب الذي يحمي شاس»، ويقول سودري موضحا: إن لبيد ونظريته نجحا في إثارة ناخبي «شاس» الذين ينتمون إلى الجمهور الذي يحمل أوزار وأعباء التمييز على خلفية دينية وطائفية، سواء من الماضي أم من الحاضر.

ليس سرا أن محافل «شاس» تغذي الكراهية تجاه لبيد، الذي يصور في صورة من يهدد بمحق الديانة اليهودية برمتها. ويرى «سودري» أن لبيد نجح في تكتيل جمهور «الحريديم» ضد من يرون أنه عدو يسعى لمحق الثقافة التقليدية الشرقية. ويضيف الناطق بلسان «شاس» إن الخوف الذي يعتري صفوف جمهور واسع إزاء ما يمثله لبيد - سيدفع هذا الجمهور بأكمله للتصويت لصالح شاس» في الانتخابات الوشيكة.

وكانت أوساط «شاس» قد خصصت جزءا من برامجها الدعائية لمهاجمة لبيد شخصيا، غير أنها قررت في هذه الأثناء عدم بث هذه الدعاية، والتركيز بدلا من ذلك على بث برامج دعاية أكثر عمومية توضح أن التصويت لصالح «شاس» يسهم في إنقاذ الدولة من براثن الخصم العلماني. ويقول «سودري» إنه إذا تقرر بث الدعاية التي تهاجم لبيد شخصيا، فإن لبيد سيقدم بصفة من يكره الشرقيين.

ولعل ما يثير قلق «شاس» بالفعل هو حقيقة أن حزب «شينوي» جعل الليكود يظهر ابتعادا عن «الحريديم»، إضافة إلى الافتراض بأن شارون قد يفضل إشراك «شينوي» في حكومته المقبلة (إذا أعيد انتخابه في ٢٨ كانون الثاني) وهذا يعني استبعاد «شاس» من الائتلاف الحكومي.

من جهتها لا تعير محافل «الليكود» اهتماما خاصا لظاهرة «شينوي»، على الرغم من أن الأخير يكتسب قوته على حساب «الليكود» أيضا.

يقول ليئور حوريف، عضو الطاقم الإستراتيجي لحزب «الليكود»: «نحن ننظر إلى هذه الانتخابات باعتبارها اختيارا حاسما بين برنامج شارون السياسي وبرنامج متسناع السياسي. فمتسناع هو الخصم، ولا داعي لأن تختلط علينا الأمور. الأصوات التي قد يأخذها شينوي من الليكود لن تكون ذات أهمية أو قيمة كبيرة».

أما السؤال حول ما إذا كان «شينوي» سينجح في نهاية المطاف في كسر التحالف الائتلافي التقليدي مع «الحريديم»، فإن الإجابة عليه ستبقى مفتوحة لكل الاحتمالات.

من جهته فإن لبيد يدرك بأنه لن يكون هناك خيار أمام شارون، سوى اختيار التحالف مع «شينوي» في الحكومة المقبلة التي يرى لبيد أن حزب «العمل» سينضم إليها في نهاية المطاف.

مستقبل ضبابي للتيار العلماني في إسرائيل

بقلم: وديع أبونصار

أعلنت قيادة حزب ميرتس العلماني - اليساري عن رغبتها في إعادة تسمية الحزب بعيد الانتخابات ليصبح اسمه: «الحزب الديمقراطي الاشتراكي،» مدعية أنها ترغب في ذلك أن توسع إطار ميرتس ليشمل نشطاء آخرين بالإضافة إلى نشطاء الحزب المحسوبين على التيار الصهيوني- العلماني- اليساري، مثل بعض المستائين من حزب العمل وحتى من الأحزاب العربية من جهة، وبعض المستائين من الأحزاب الدينية ممن يلهثون حول عنوان علماني لهم، من جهة اخرى.

كما يبدو، فإن المجموعة الثانية هي المستهدفة الرئيسة لإعلان ميرتس هذا، الذي يبغي منافسة حزب شينوي العلماني على أصوات هذه المجموعة، والتي تضم عددا لا بأس به من العلمانيين اليهود الذين «سئموا سيطرة الأحزاب الدينية على معظم جوانب الحياة في الدولة» على حد تعبيرهم.

ففي الوقت الذي فشلت فيه ميرتس بتخطي المقاعد التسعة في استطلاعات الرأي التي تفحص التركيبة المحتملة للكنيست السادس عشر الذي سينتخب في الثامن والعشرين من الشهر الجاري، فإن هذه الاستطلاعات تدل على أن حزب شينوي قد يحصل على نحو خمسة عشر مقعدا وربما أكثر، في حين أن لدى هذا الحزب الآن ستة مقاعد فقط، بينما ميرتس يملك عشرة مقاعد. هذا الوضع هو ما أثار حفيظة ميرتس دافعا قيادتها إلى محاولة إيهام الناخبين الإسرائيليين بأن الحزب سيضم إلى صفوفه أطرا جديدة غير تلك اليسارية، محاولين بذلك الإفادة من تجربة شينوي، وإن جاء ذلك في وقت متأخر بعض الشيء.

لقد أدركت قيادة ميرتس أن السبب الرئيس لنجاح حزب شينوي في استطلاعات الرأي يعود إلى عدم تبني هذا الحزب لموقف محدد فيما يتعلق بالصراع العربي- الإسرائيلي، مكتفيا بالتركيز على عدائه للمتدينين اليهود من جهة والادعاء بأنه يمثل الطبقة الوسطى من جهة أخرى. فحزب شينوي أدرك منذ زمن بعيد ما أدركته قيادة ميرتس مؤخرا، وهو أنه لن يستطيع منافسة اليمين، لأن هنالك العديد من الأحزاب التي تتنافس على أصوات هذا التيار بدءا بـ الليكود، مرورا بحزبي «المفدال» اليميني - المتدين و «إسرائيل بيتنا» برئاسة أفيغدور ليبرمان، والذي يضم أيضا حزب «موليدت» اليميني المتطرف، وانتهاء بحزب «حيروت» بزعامة عضو الكنيست اليميني المتطرف ميخائيل كلاينر وعضوية باروخ مارزيل، زعيم حركة كاخ اليمينية الدينية التي اشتهرت في العشرين عاما الماضية بمواقفها المتطرفة جدا إزاء العرب.

كما أن شينوي أدرك أنه بالإضافة إلى اكتظاظ أحزاب اليسار (العمل وميرتس والعربية)، فإن التيار اليساري لا يتمتع بشعبية واسعة في صفوف الإسرائيليين. لذلك، قررت قيادة هذا الحزب الاكتفاء بالحديث عن مناهضة الأحزاب الدينية والادعاء بتقديم التمثيل الأفضل للطبقة المتوسطة. هذه الضبابية في الموقف إزاء الصراع العربي - الإسرائيلي، الذي يعد أبرز القضايا السياسية في المجتمع الإسرائيلي، ساعدت شينوي كثيرا في استقطاب أصوات من المصوتين المحسوبين على مركز ومركز - يمين الخريطة السياسية الإسرائيلية، إضافة إلى بضعة آلاف الأصوات من مركز - يسار هذه الخريطة، بالذات على حساب حزب العمل، الذي فشل زعيمه الجديد، عمرام متسناع، بنقله نحو إنجاز نوعي يتخطى الخمسة والعشرين مقعدا في الاستطلاعات.

كما يبدو، فإن «صحوة» ميرتس المتأخرة أتت أيضا نتيجة لقناعة قيادته بأن احتمالات جذب مصوتين جدد على حساب الأحزاب العربية باتت ضئيلة، خاصة في ظل الاستقطاب القائم في المجتمع الإسرائيلي بين العرب واليهود من جهة، وفي ظل التنافس الشرس فيما بين الأحزاب العربية على كل صوت في الشارع العربي من الجهة الاخرى. هذا الوضع، ساهم - كما يبدو - في اتخاذ قيادة ميرتس قرارها المتعلق بالإعلان عن الرغبة في إعادة تسمية الحزب، رغبة منها في استقطاب مصوتين يهود جدد بالأساس. لكن، كما يبدو، فإن احتمالات تأثير هذا التحرك على الناخبين ستكون محدودة جدا، وبالتالي فإن ميرتس سيستصعب الحفاظ على تمثيله الحالي في الكنيست (عشرة مقاعد)، وإذا ما حصل على مثل هذا التمثيل، فإن ذلك سيعتبر نجاحا بالنسبة للعديد من قادة هذه الحزب، وعلى رأسهم يوسي سريد.

أما بالنسبة لحزب شينوي، فإن المستقبل أكثر ضبابية رغم كثافة الحديث بأنه سيصبح الحزب الثالث في الدولة من حيث عدد المقاعد في الكنيست، ومن ثم من حيث الأهمية. حيث إن التحدي الأكبر الذي سيواجهه الحزب بعيد الانتخابات المقبلة هو إلى أية حكومة سينضم، بمعنى من الذين سيكونون شركاءه في الحكومة المقبلة؟، وهل يتنازل ليشارك في حكومة مع الأحزاب الدينية، أم يبقى في المعارضة؟. ففي كلتا الحالتين، سواء أشارك في حكومة مع المتدينين أم بقي في المعارضة، سيكون هنالك خطر التفكك قائما بالأساس في حزب كبير نسبيا، ولا توجد عقيدة سياسية متكاملة تربط أعضاءه. أما احتمال النجاح الوحيد، وهو ضئيل حاليا، فهو تشكيل ما يسمى الحكومة العلمانية بمشاركته إلى جانب كل من الليكود والعمل، غير أن هذا الاحتمال غير وارد حاليا لأن الليكود يفضل عدم خسارة علاقاته مع الأحزاب الدينية من جهة، ولأن متسناع لا يفضل الانضمام إلى حكومة تحت قيادة أرئيل شارون من جهة أخرى.

من هنا، فإن مستقبل شينوي غامض بعض الشيء، رغم أنه سيكون على المدى القريب الفائز الرئيس في الانتخابات للكنيست السادس عشر.

"أفلام الدعاية الانتخابية": كل من ليس "عائما" فهو غريق..!

كتب: علاء حليحل

حدثتني صديقة، ليلة أمس، بعد بثّ الأفلام الانتخابية ضمن الدعايات الحزبية، في القنوات التلفزيونية الاسرائيلية الثلاث (١، ٢، ١٠)، فقالت: «كانت جدتي تقول لي دائمًا إنه إذا ذهبتِ إلى مطعمٍ واشتريتِ طعامًا واكتشفتِ أن الطعام سيئ، فلا تأكليه. ألا يكفي أنك دفعتِ ثمنه؟». بمعنى: ألا يكفي أنه لا يوجد أمن ولا سلام ولا اقتصاد ولا أبسط المكونات لحياة محتملة، ليضطر الاسرائيليون أيضًا لرؤية الدعايات الحزبية، لرؤية السياسيين يحاولون أن يلقّنوهم درسًا في السياسة والاجتماع، ببطء وبتشديد على مخارج الأحرف، كأن المشاهدين أطفال في الروضة ما زالوا لا يعرفون التمييز بين «شارون» وبين «عُمري شارون»...

الناس ملّت من هذه الأفلام القصيرة المتتالية.في الليلة الأولى لبثّ الدعايات الحزبية، شاهدها نصف العدد الذي شاهدها في العام ١٩٩٩. أصلاً، الأحزاب تقول إنها توجه الدعاية المتلفزة (وغير المتلفزة) للمترددين، للأصوات «العائمة» (هل الذي يعرف لمن سيصوت هو غريق؟). فلماذا إذًا على الجميع أن يشاهدها بدلا من مشاهدة «فسفوسيم» أو دودو طوباز. الاسرائيليون يريدون دودو طوباز لأن طوباز يبيعهم الأحلام والأوهام دون أن يتستر بستار الفعل والتنفيذ. شعب إسرائيل يبحث عن الأوهام، خاصةً اليوم، والافلام الدعائية القصيرة توفر لهم بعضًا من هذه الأوهام. المشكلة أن هذه الأفلام تتعامل مع نفسها بجديّة مفرطة، تجعل المشاهد يسخر ممن صنعها وممن سيصدقها.

«ميرتس» مثلا تخلت قليلا عن الجدية المفرطة، فأنتجت أفضل دعاية انتخابية ليلة أمس، بحسب رأيي. في دعاية «ميرتس» هناك رجل إسرائيلي في منتصف العمر يدقّون رأسه بالحائط: بطالة، دماء، حرب... وبعد كل ضربة في الحائط يطلب: «المزيد». «ميرتس» تود أن تقول للاسرائيلي المتوسط إنه تحول إلى مازوخي من دون أن يعي ذلك. الأحزاب الكبرى تضرب رأسه بالحائط وهو يطلب المزيد. «كمان!» بلغتنا الدارجة، «كمان» يصيح الاسرائيلي المتألم. و«ميرتس» تريد أن تخلصه مما هو فيه. كيف؟.. لا يهم.

في كل الدعايات التي كانت أمس، «كلهم أنذال وسيئون إلا نحن». لم ينتقد أحدٌ نفسَه إلا يوسي بيلين، في فيلم انتخابي آخر لـ «ميرتس». بيلين قال إنه كانت هناك بعض الأخطاء في أوسلو، انهم لم يحلوا كل شيء في الاتفاق، انهم لم يعينوا طرفًا ثالثًا لفضّ الخلافات. ولكنه قال للمشاهد إنه انضم إلى «ميرتس» لأن «ميرتس» هي الوحيدة التي ما زالت تعطي الأمل وتسعى وراءه. من الطبيعي أن يرى بيلين (الذي قذف به مركز «العمل» بعيدا عن البيت) في «ميرتس» الأمل الوحيد. ليس في السلام، ولكن في دخول الكنيست!

بكأس الدعاية الأسوأ لليلة أمس، فازت بدون منازع قائمة «التحالف الوطني» برئاسة هاشم محاميد. فليعذرني «أبو إياد»، ولكن هل هذا ما بوسعه أن ينتجه للمنتخِبين بعد عشرات السنوات في معترك السياسة والاعلام؟.. فيلم «التحالف» الانتخابي هو قمة الانتاج الهاوي، السطحي، غير المهني. التصوير تحت المستوى، النص مغلق وتحت العادي، الشعارات مملة ومجترة، النص الذي قاله «محبو» هاشم محاميد من الشارع هو نص غير جذاب ولا يشجع المشاهد العربي على الاستماع لما يقولونه. الفيلم الانتخابي شدّد على أن محاميد هو مع الشعب دائمًا حتى في أحداث أكتوبر. لماذا إذًا بثّوا مقطعًا في مفترق طرق أثناء الاحداث، ليس فيه إلا محاميد وشاب واحد يقف بدون أي هدف؟.. ألم يجدوا له مقطعًا والاحداث ملتهبة؟..

أفيغدور ليبرمان كان يلعب البينغ بونغ في بيته، مع ابنه على الأغلب. يرون الشخص من وراء السياسي. أحدهم قال عنه إنه «إنسان قبل أن يكون سياسيًا». لكن أحدًا لم يقل ما إذا ظلّ إنسانًا بعد أن أصبح سياسيًا!

حزب «العمل» خلع الأكف الحريرية وبدأ بهجوم ناري وحاد على شارون وقضية (قضايا) الرشاوى التي تندلع مرةً في الأسبوع. «العمل» قالوا إن شارون قال طيلة الوقت إنه لم يعرف شيئًا، عن أي شيء. «العمل» تركزوا في ابنَيْ شارون، عُمري وغلعاد، وقالوا إن شارون هو «العرّاب» (الفيلم المشهور) رجل المافيا، وهو يدير الدولة من خلال العائلة. في الحلقة القادمة: «من سيربح المليون؟».

«شاس» وجدت من المناسب أن تتركز في التهجم على الهجرة من الاتحاد السوفياتي سابقًا. منذ أن أتوا، قالت «شاس»، كثرت الكنائس المسيحية وازداد عدد الخنازير وصار العديد من اليهود يتعمدون في طبريا على أيدي المهاجرين المسيحيين. «شاس» تريد أن تبقى إسرائيل دولة يهودية، ولذلك فهي تحذر من النية لجلب مليون آخر منهم! ميخائيل كلاينر وأيفي أيتام وأغودات يسرائيل - كلهم يريدون أن تبقى إسرائيل دولة يهودية. البعض يخاف من الروس المسيحيين، البعض يخاف من الفلسطينيين الذين يتكاثرون «بكثرة» والبعض الآخر يخاف من ذوبان القيم والتراث اليهوديين.

كان من الممتع وأنا أشاهد هذه الأفلام الانتخابية أن أطمئن إلى أنني لست العدو الوحيد لدولة اليهود. على العكس تمامًا: في الدعايات الانتخابية القادمة سنسمع الحاخام عوفاديا يوسيف يطالب بتجنيد العرب للخدمة الوطنية، ليطاردوا الروس المسيحيين ويلقوا بهم خارج البلاد، كما يفعلون مع العمال الأجانب اليوم.

حاليًا، كلاينر يرغب بطرد الفلسطينيين وتشجيعهم على الهجرة، من منطلق «إما نحن وإما هم». على المدى البعيد قد تكون هذه المقولة صحيحة. ولكنني لا أريد أبدًا أن أكون لحظتها في مركب كلاينر!!

مشهد من الدعاية التلفزيونية.

"مزرعة الجمّيز": خمسة آلاف دونم مقابل ٢٠٠ ألف دولار..

تردد في الايام الأخيرة اسم «مزرعة الجميز» في الانباء التي تحدثت عن الاموال التي تلقاها رئيس الوزراء الاسرائيلي ارئيل شارون من صديقه المليونير من جنوب افريقيا.

في هذه الانباء ادعى شارون في مساءلة امام مراقب الدولة الاسرائيلية انه سدد ديونه الانتخابية (٤ر٧ مليون شيكل) بعد ان رهن «مزرعة الجميز» للبنك الذي اعطاه القرض.

- ما هي هذه المزرعة - «مزرعة الجميز»؟

الطبيعة الخلابة المطلة من «مزرعة الجميز» التي اقامتها عائلة شارون لا تدل ولو بالاشارة على العواصف التي صاحبتها على مدار ثلاثين عاما من عمرها. طريق المزرعة مثل طريق اصحابها مليئة بعلامات تاريخية كثيرة: بدءا بشرائها فترة قصيرة قبل حرب تشرين ١٩٧٣، بعد ان فشل شارون في الحصول على منصب قائد الاركان العسكرية، مرورا بالمظاهرات الصاخبة لمعارضي الحرب في لبنان، وحتى الحلف المتجدد الذي ابرمه مع كيبوتسات المنطقة، لدى انتخابه لرئاسة الحكومة. طيلة هذه الفترة ترددت باستمرار الاتهامات الموجهة لشارون باستغلال مناصبه الرسمية من اجل جني الارباح من وراء «المزرعة».

تمتد مساحة مزرعة الجميز على خمسة الاف دونم من الاراضي المزروعة والبيارات ومناطق الرعي، وهي تقع على الشارع الواصل بين سديروت ومفرق بيت قما، جنوب شرقي المدينة. يقطعها واديان يجريان في الشتاء. دفع شارون ما يقارب مائتي الف دولار للدولة مقابل الاراضي التي كانت فوقها القرية العربية حوجه. حصل شارون على المال كقرض بشروط مريحة جدا من صديقه المقرب اليه رجل الاعمال مشولام ريكليس. في داخل المزرعة التي يقطعها شارع يوجد بيتان كبيران محاطان بالحدائق الخضراء المعتنى بها. في البيت الاول المكون من طابقين يعيش اليوم رئيس حكومة اسرائيل مع ولده جلعاد - الذي يدير المزرعة بمساعدة شركة ادارة خاصة - وزوجته عنبال واولادهما الثلاثة. في البيت الثاني يقطن من حين لاخر الابن عومري. خارج المزرعة، فوق تلة «شقائق النعمان»، يوجد قبر زوجته ليلي.

مع اقامة المزرعة في منطقة المجلس الاقليمي بني شمعون استفاد الجنرال المدجج بأوسمة المجد العسكرية من مساعدة ابناء القرى المجاورة. قدّم سكان كيبوتس «ساعد» المعونة في تطوير فرع الماشية، بينما ساعد كيبوتس روحاما في رعاية مقاثي البطيخ، وساعد كيبوتس دوروت في استصلاح بقية الارض واشترت مصانع شاعر هنيغف منتوج القطن.

لدى استدعائه للعودة الى حرب ٧٣ واصلت الكيبوتسات تشغيل المزرعة. لكن علاقة شارون بسكان بعض الكيبوتسات هناك تضررت - كما يقولون هناك - بعد اتضاح دوره في حرب لبنان، لكن علاقات الجيرة الحسنة عادت في السنوات الاخيرة من جديد.

جلعاد مع مشولام في المزرعة.

في انقلاب ١٩٧٧، مع تعيينه وزيرا للزراعة في حكومة مناحم بيغن، عين شارون في منصب مركّز العمل في المزرعة زميله في السلاح مردخاي ليفي، الذي عبر معه القناة في حرب ٧٣ وجرح خلال المعارك. وبموجب تقرير صحافي نشرته اسبوعية «كول هعير» في نيسان ٢٠٠٢ طلب شارون من ليفي التوقيع على اتفاق استئجار تجنبا لمخالفة قانونية محتملة، واخذ لنفسه المسؤولية القانونية عن المزرعة. وقد رفض اسحاق نفتسئيل مراقب الدولة في حينه صراخ المعارضة ضد تناقض المصالح، مدعيا ان ليفي ليس من ابناء عائلة شارون. اتهامات كهذه حول تناقض المصالح رافقت شارون في بقية طريقه وفي مختلف الوظائف. في اواخر الثمانينيات مثلا عارض وزير التجارة والصناعة الاسرائيلي في حينه ارئيل شارون اقتراح المالية فتح اسواق اللحوم امام الاستيراد. في ذلك الوقت كان شارون يربي اكبر قطيع اغنام في اسرائيل.

يصف الجيران بيت العائلة بأنه «مكان يحظى برعاية دائمة ومريح وليس تظاهريا». قبل عدة سنوات اجريت ترميمات في البيت في اعقاب حريق كبير وسرعان ما عاد اليه منظره السابق. مع الكنبة الشهيرة الخاصة بشارون، والموقدة الكبيرة في الصالون، وركن الصور التاريخية لعائلة شارون ايام كفار ملال ولشارون وليلي في شبابهما. يقول الجيران انه «بيت لا ابتعاد فيه، مثل اريك. في الصباح كنا نجلس في المطبخ واريك يأكل الافوكادو مع الليمون».

يعمل في المزرعة عشرات العمال الاجانب معظمهم من التايلانديين. وللتخفيف عن ولده جلعاد في ادارة المزرعة تم استئجار خدمات شركات ادارة خاصة.

جاء في تقرير لمراقب الدولة انه تم استثمار ثمانية ملايين شيكل في مزرعة الجميز لدى تسلّم شارون منصب رئيس حكومة. وكما كتبت «هارتس» كانت التحصينات الامنية غير المسبوقة سببا في اضافة المزيد من الاعباء على علاقات شارون المتضعضعة مع جيرانه من مدينة سديروت. ومؤخرا ترددت اتهامات ابناء البلدات التطويرية لشارون بتفضيل «الاصدقاء من الكيبوتسات» على جمهور ناخبيه. بالنسبة لهؤلاء كان شارون ولا يزال «العملاق من الحديقة المقابلة».

المحكمة العليا الاسرائيلية: فَضّ الاشتباك مع العرب في اسرائيل

كتب: علاء حليحل

في الثانية عشرة والنصف من ظهيرة الثلاثاء (٧كانون الثاني)، توجه الشيخ جمعة القصاصي من النقب وبعضٌ من مرافقيه، نحو القِبلة، ووقفوا في صف واحد مستوٍ، ليؤدوا صلاة الظهر. «القِبلة» في ذلك الموضع كانت الحائط الحجري المرتفع الذي يجلس خلفه قضاة محكمة العدل العليا الأحد عشر، في القاعة «ج»، وهم ينظرون في قضية شطب باروخ مرزل، اليميني الكاهاني المتطرف. الشيخ القصاصي ورفاقه لم يتوقعوا أن يهرع إليهم حرس المحكمة، تلحقهم الكاميرات والفلاشات، بصراخ: «ممنوع الصلاة هنا». بعد جدال وأخذٍ وردٍ دخل القوم إلى غرفة جانبية وأدّوا صلاتهم بعيدًا عن الأنظار. الدّين الوحيد المسموح به في قاعة العدل العليا في إسرائيل هو الدّين الذي يكتبه قضاة المحكمة في كتبهم وقراراتهم وتسويغاتهم. بالنسبة للجميع، قرارهم مقدس ورأيهم سنةٌ وفرضٌ. العليا هي هيكل الفضّ بين المؤسسة والفرد. هي للفرد «ملاذ»، وهي للمؤسسة «نِدٌ كبيرٌ».

لا يمكن المبالغة أبدًا وبأي شكل في المعنى الرمزي للحادثة الصغيرة المذكورة أعلاه. في الثانية من بعد الظهر لنفس اليوم دخل عزمي بشارة إلى القاعة «ج» ليجلس في الصف الأول مع زوجته ومقربيه، ويستمع إلى التسويغات التي طُرحت لشطبه وشطب قائمته، «التجمع الوطني الديمقراطي»، من المشاركة في الانتخابات الاسرائيلية. اللجنة المركزية للانتخابات صوتت مع شطب بشارة و«التجمع» وشطب الطيبي أيضًا. بالنسبة للعرب وممثليهم، تشكل محكمة العدل العليا اليوم الملاذ الأخير الذي يمكن الالتجاء إليه في مواجهة المدّ القوموي الصهيوني المتطرف الذي يكتسح المجتمع الاسرائيلي، يومًا بعد يوم. صباح الخميس ٩ كانون الثاني كانت العليا كما توقعها وأرادها العرب: رفضت قرار شطب الطيبي بالاجماع، وقرار شطب بشارة و«التجمع» بأغلبية ٧ ضد ٤.

العليا لم تخيب آمال الملتمسين العرب إليها هذه المرة، ولكن بوادر التحول والخطر كامنة في ميزان القوى في اتخاذ القرار بشأن بشارة و«التجمع»: ٧ مع، ٤ ضد. هؤلاء الأربعة قد يتكاثرون في الالتماس القادم في الانتخابات المقبلة. بشارة طالب بعد صدور القرار في المؤتمر الصحافي المنعقد في القدس باستقالة المستشار القضائي للحكومة. لا أعتقد أن بشارة يوهم نفسه بأن أحدًا سيستمع إلى طلبه، أو يعيره الاهتمام. المستشار سيبقى والعليا ستبقى، وبينهما سيظل محامو «عدالة» يحملون أكوام ملفاتهم وعباءاتهم السوداء ويركضون وراء العدل والقانون، على أمل أن يكونوا مع صناديق ملفاتهم آخر من سيتعب!

* ساسون: الهدف تدمير دولة إسرائيل!

المحامية طاليه ساسون، ممثلة المستشار القضائي للحكومة، طلبت أن تقرأ في البداية تصريحًا قصيرًا كتبه المستشار القضائي للحكومة، إلياكيم روبنشتاين. أهم ما ورد فيه: «إن منع قائمة أو مرشحين من حق الترشح هو خطوة متطرفة وتنبع من منطلق اللا مفر. إن محاولة منع «التجمع» من خوض الانتخابات لا تهدف لتضييق الخناق على الجمهور العربي، الذي يطالب بالمساواة...».

ساسون: «مطلب «دولة كل مواطنيها» يناقض بشكل مطلق الدولة اليهودية. «التجمع» يطالب بالغاء كل القوانين التي تعطي أفضلية لليهود، منها قانون العودة. «التجمع» يدعي أنه ليس هناك شعبٌ يهوديٌ وأن حق تقرير المصير ينحصر في اليهود الذين يعيشون داخل الدولة وليس خارجها. إن العامود الفقري والهدف الاستراتيجي المركزي عند «التجمع» هو ما ذُكر أعلاه. هذا يظهر في كل تصريحات وكتابات بشارة».

في ادعاءاتها في المحكمة وأمام القضاة، تركزت ساسون في النقاط التالية:

– «التجمع» وبشارة يستغلان مطلب المساواة كغطاء فقط للمطلب الحقيقي، وهو «دولة كل مواطنيها» الذي هدفه تقويض أركان الدولة اليهودية.

– يحق التحدث في هذا الموضوع، لكن من غير المسموح التنظّم بحسب هذا الطرح لنفي دولة اليهود.

– كلما انضم أناس إلى «التجمع» وأفكاره، ازدادات قوته الانتخابية وعدد مقاعده في الكنيست، وهذا ينشئ خطرًا على الدولة.

– لُب دولة إسرائيل التي قامت على أنقاض الهلوكوست، هو تأسيس بيت قومي للشعب اليهودي، هنا وفي الشتات.

– الأدلة تشير إلى أن هدف «التجمع» هو التقدم خطوة فخطوة للأمام نحو «دولة كل مواطنيها». الهدف القادم هو تأسيس دولة ثنائية القومية. في لقاء صحافي مع بشارة في ١٩٩٨ (ملحق «هآرتس») قال إن هناك امكانيتين: إما دولة واحدة وإما دولتين. الأدلة السرية تقول إن الهدف هو دولة واحدة.

– في الأقوال التي ألقاها بشارة في سورية (خطاب القرداحة في الذكرى السنوية الأولى لوفاة حافظ الأسد) يتضح من فحواها أن بشارة يؤيد المقاومة اللبنانية، أي «حزب الله». الدعم لم يكن في الحديث فقط وإنما في السفر إلى هناك والجلوس إلى جانب حسن نصر الله ونائب رئيس الجمهورية الإيرانية وأحمد جبريل.

– في مهرجان أم الفحم (مهرجان خطابي نظمه «التجمع» حول الانسحاب الاسرائيلي من لبنان) ورد في تقرير صحافي (خبر موسع في صحيفة «معاريف» كتبه سعيد بدران) أن بشارة دعم كفاح حزب الله المسلح وكل ادعاء آخر هو تمويهي واصطناعي.

– فيما يخص الادعاء بأن هناك محاكمة جنائية ضد بشارة على النقطتين الأخيرتين، وهذا يعطيه حصانة وحقا بعدم النظر في الأمرين، هذا الادعاء هو باطل.

* جبارين: المواطن أهم من القومية

في ادعاءات الدفاع التي حضرها تنظيم «عدالة» وطرحها المحامي حسن جبارين، مدير مؤسسة «عدالة»، لم ينفِ جبارين أن الفكرة المركزية والطرح الأساس عند «التجمع» هما «دولة كل مواطنيها». عودة إلى برنامج الحزب السياسي توضح هذه النقطة حتى النهاية:

«يناضل الحزب من أجل تحويل دولة اسرائيل الى دولة ديمقراطية ودولة لجميع مواطنيها اليهود والعرب وآخرين، بحيث تؤمن بها حقوق الإنسان والمواطن على أساس المساواة الكاملة بين جميع المواطنين. ودون أي تمييز على أساس الانتماء القومي، أو الدين والجنس. بما في ذلك المساواة أمام القانون، وتكافؤ الفرص دون أي تمييز بما يتعلق بالعمل والميزانيات والخدمات، وصيانة حياة الإنسان وكرامته وممتلكاته... يعمل الحزب على تحقيق هدف المساواة ودولة جميع مواطنيها، من خلال إلغاء البنى القانونية العنصرية لدولة إسرائيل وكل المؤسسات الصهيونية، مثل الوكالة اليهودية ودائرة أراضي اسرائيل والكيرن كييمت... الخ، وفصل الدين عن الدولة، وذلك عبر طرح مشروع المساواة الكاملة في الحقوق القومية والمدنية كبوصلة في العمل السياسي والجماهيري والقانوني من أجل الأهداف المذكورة... نطالب بمشروع المساواة القومية كنقيض للنظام الصهيوني العنصري القائم على خدمة اليهود ومنحهم امتيازات خاصة على حساب المواطنين الأصليين– العرب الفلسطينيين، ما يساهم في تعبئة وتجنيد هؤلاء المواطنين حول الأهداف المذكورة ورفض التمييز والتهميش في المكانة المدنية والقومية.»

جبارين يقول إنه رغم هذه الموافقة، فإن البند ٧(أ) لا يمكّن من منع «التجمع» وبشارة من خوض الانتخابات، بناءً على هذا الطرح. جبارين ادعى في النقاش أيضًا:

– بشارة هو المفكر وواضع هذا الطرح و«التجمع» أغنى النقاش السياسي والجماهيري في الدولة.

– المواطن هو المهم وهو الجوهر والمركز. يجب عدم المس بحقوقه وكيانه على خلفية القومية أو أية خلفية أخرى.

– اعتراف بشارة باليهود هنا ككيان قومي مع حق تقرير المصير، لا ينبع فقط من كون ذلك حقيقة على أرض الواقع، وإنما ينبع من أخلاقيات عليا.

– بشارة طلب من اللجنة المركزية للانتخابات ألا يتوقعوا منه أن يكون صهيونيًا. هو وباقي النواب العرب ليسوا صهاينة ولن يكونوا. لا تتوقعوا منه أن يعمل على ضمان أكثرية يهودية في إسرائيل.

– إن إقامة دولة إسرائيل مكّن من خلق قومية جديدة يهودية، اعتمدت على اللغة العبرية. إقامة إسرائيل من هذه الناحية هو أهم حدث تاريخي عند اليهود.

– بشارة يقول إنه يعي التناقضات بين طرح «دولة كل مواطنيها» وبين دولة اليهود، كما أنه يحاول التوصل إلى التسوية بين هذين الأمرين، ولم يقم بالمطالبة بإلغاء النشيد الوطني الاسرائيلي (هتكفاه) وقانون العودة لأنه ببساطة ليست هناك أغلبية كافية لذلك في الواقع المعطى.

– فيما يخص خطاب أم الفحم فإن بشارة أرسل رسالة إلى محرر «معاريف» في نفس اليوم محتجًا على التشويهات التي وردت في أقواله. محرر «معاريف» لم ينكر ذلك وقال: إن التحرير قام بتغيير صياغات معينة في الخبر الذي وصلها. الشرطة فتحت تحقيقًا في الموضوع وبعده أغلقت الملف. بعد سنة وبعد خطاب القرداحة تذكر من تذكر أن يعيد إلى الحياة هذا الملف المغلق.

– فيما يخص الانتفاضة، بشارة قال إن لكل شعب الحق في مقاومة الاحتلال. بشارة لا يقرر للفلسطينيين أية طرق يتبعونها في مقاومتهم، وهو في برلمان الاحتلال. كما أنه عبر دائمًا عن معارضته للمسّ بالمواطنين في كل مكان. بالنسبة لـ «حزب الله» فإن بشارة لم يتطرق يومًا إلى أية عملية أو نشاط عينيين لـ «حزب الله» أو لأي نشاط مسلح. المقاومة هي ليست كفاحًا مسلحًا. كما أن تصريحات بشارة عن «حزب الله» هي تحليل للواقع ولا يختلف أحد معه فيما قاله. على العكس تمامًا. أقوال مثل: «حرب العصابات لا تنتصر على دولة، بل على سقف الصمود عند المجتمع».

– في خطاب القرداحة اعتمد الاعلام على اقتباسات مشوهة وناقصة. الحديث كان عن إعادة المجال للمقاومة أمام محاولة شارون فرض حرب شاملة إذا لم تُقبل الشروط الاسرائيلية كلها. ثم ان بشارة كان أول من دعا في الخطاب إلى مبادرة عربية سياسية شاملة، ومن بعد الخطاب جاءت المبادرة السعودية.

– فيما يخص تحريض الشباب العربي داخل الدولة. بشارة قال لهم دائمًا: المقاومة التي نريدها منكم هي أن تذهبوا إلى الجامعات.

* ميكي ايتان: الطيبي يشجع على قتل الاسرائيليين!

في النقاش الذي بدأ في حوالي السادسة والنصف مساءً من نفس اليوم ادعى عضو الكنيست ميخائيل ايتان (الليكود) أن عضو الكنيست أحمد الطيبي يدعم «الارهاب» بتصريحاته وبشكل فعلي أيضًا، عن طريق زيارة الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات في مقره المحاصر، وخرق أمر منع دخول المناطق الفلسطينية وقت الاجتياح وزيارة مخيم جنين والاعلان فيه «أن المقاومة في المخيم هي بطولة وهي واجب وليست حقًا فقط».

ميخائيل ايتان اقترح على القضاة أن يستعينوا بمعادلة «الضرب» التي ابتكرها لفحص النتيجة النهائية لتصرفات وأقوال الطيبي. ايتان قال إن الطرف الأول من المعادلة هو الدعم على أنواعه، والطرف الثاني هو الوتيرة. إذا ضربنا شقي المعادلة ببعضهما بعضاً فسنحصل على دعم مؤكد!

المحامي دوف حنين، المرشح الرابع في قائمة «الجبهة– الطيبي»، والذي انضم إلى طاقم الدفاع مع «عدالة»، قال إن اقوال ايتان هي افكار تلوّث الخطاب الديمقراطي، وإن هذه الخطوة هي خطوة متطرفة جدًا. كما استعرض ما جاء في نقاشات اللجنة المركزية للانتخابات، حيث قال: إن أعضاء اللجنة بغالبيتهم لم يحضروا النقاشات، وهناك أساس قانوني لرفض قرارها.

المحامي مروان دلال من «عدالة» استعرض دور الطيبي وموقعه الجماهيري، وقال إنه «يمثل الجماهير العربية وهو ليس متطرفًا أبدًا». كما أنه جلب اقتباسات من الاعلام تؤكد نبذ الطيبي فكرة تسليح الانتفاضة وقتل المواطنين الأبرياء من كل طرف. وانضم إلى هذه الادعاءات في النهاية الطيبي نفسه حيث طلب شطب أقوال ايتان عن دعمه لقتل الاسرائيليين، من البروتوكول، واعتذار ايتان له عما قاله. ايتان في نهاية الجلسة لم يعتذر ولم يتم شطب أقواله من البروتوكول.

***

بعد النقاش في موضوع المتطرف الكاهاني مارزل امتلأت القاعة الخارجية أمام القاعة. من الخارج، من عند الشارع الرئيسي الذي يربط العليا مع مكتب رئيس الحكومة، مع باقي الوزارات وصولاً إلى مبنى الكنيست، وصلت أصوات المتظاهرين العرب واليهود اليساريين الذين احتجوا على هذه الممارسات ضد ممثلي الجمهور العربي. الوضع لم يكن مشحونًا فقط ضد الشطب، وإنما بين «الجبهة» وبين «التجمع» إلى درجة وقوع مشادات هنا وهناك بين شقي البرتقالة!

داخل المبنى كان عضو الكنيست طلب الصانع يناقش عضوي الكنيست اليمينيين يسرائيل كاتس (الليكود) وميخائيل كلاينر (حيروت). كلاينر اتهم الصانع بأنه يدعم الارهاب والصانع اتهم كلاينر بأنه كاذب. في خضم الشجار بين الكاميرات والميكروفونات استطعت أن أسأل كاتس ما إذا كان «التنظيم اليهودي السري» تنظيمًا إرهابيًا، فقال: «إذا ثبت أنهم قاموا بما يُنسب إليهم فهم إرهابيون». كان هذا تصريحًا غير مسبوق، ويبدو أن كاتس فهم ما فعله فبدأ بالتحفظ والتقليل من قيمة ما قال، أمام الصحافيين.

في الرابعة والثلث خرج بشارة وممثلو «التجمع» والطيبي ومحمد بركة (الجبهة) وعبد المالك دهامشة (الموحدة) وعصام مخول (الجبهة) من القاعة وكُلٌّ هرع إلى ميكروفون. الميكروفونات هرعت إلى بشارة. بشارة قال ردًا على سؤال «المشهد الاسرائيلي» حول تقديره بشأن قبول المحكمة بالتمييز بين «المقاومة» وبين «الكفاح المسلح»، قال إنه يعتقد أن المحكمة ستقبل بهذا التمييز بين المصطلحين. جبارين قال لنا إيضًا إنه يعتقد أن المحكمة ستفعل ذلك، وهذا ما فعلته بالفعل، صباح الخميس ٩ كانون الثاني.

في الشارع العربي بدأت صبيحة صدور القرار بالتصديق على الترشيح المعركة الانتخابية الحقيقية. «التجمع» خرج من هذه الأزمة قويًا ونشيطًا أكثر من أي حزب آخر. «الجبهة» أيضًا كسبت نقاطًا بحكم كون الطيبي المرشح الثالث في القائمة. «الجبهة» والطيبي يريان في خروج بشارة وجمال زحالقة (المرشح الثاني في «التجمع») بعد انتهاء النقاش في قضيتهما والمغادرة دون الانتظار للنقاش بشأن الطيبي، عملاً غير مقبول. الكثيرون أيضًا وافقوا مساء الثلاثاء على أن هذا كان «تصرفًا متهورًا» وقد يضر ببشارة و«التجمع».

في طريق خروجنا من القاعة، مساء الثلاثاء، قلت لمحمد بركة إن الوضع «مُطمئنٌ بعض الشيء». بركة وافقني وخمّن أن العليا لن توافق على شطب أحد. هذا جيد في النهاية، وجلب الانتباه للعرب على الأقل، قلت له. وافقني بتحفظ، ثم قال «إن ما حدث في النهاية هو يسيء بعض الشيء للعرب، بمجرد طرح هذه الامكانية. وهل تسألني إذا كان ما حدث سيفيدنا في الصناديق؟.. قد يكون ذلك صحيحًا. سننتظر ونرى»...

بعد المحكمة.

تظاهرة أمام العليا.

السلام والمساواة والمواطنة: قضايا "ثابتة" على الاجندة الانتخابية العربية

المشهد الاسرائيلي

«الاحزاب العربية»

* «الجبهة – التغيير»: «مسؤولية وطنية – رسالة اجتماعية» و «تحالف كل الناس» هما الشعاران البارزان في اعلانات «الجبهة الديموقراطية – العربية للتغيير»، تحالف بركة – الطيبي، منذ بدء الدعاية الانتخابية.

* «القائمة العربية الموحدة» بقيادة عبد المالك دهامشة تلوّن اعلاناتها بالاخضر على ارضية سماوية فاتحة وتقول: «حقُّنا أقوى من ظُلمهم»، بعد ان هتفت في اعلاناتها الاولى بوجه ليبرمان وشارون، باللون الاخضر ايضا.

* «التحالف الوطني التقدمي» بقيادة هاشم محاميد ينشر صور مرشحيه الستة الاوائل وبضمنهم امرأة من باقة الغربية هي السيدة عنات عثامنة (هناك سيدة اخرى من باقة الغربية مرشحة ضمن قائمة «الموحدة» في المكان السادس هي الحاجة رقية بيادسة)، ويرفع الشعار: «قيادة شعبية. تجربة ومصداقية».

* «التجمع» اضاف الى شعاره الانتخابي المرفوع منذ بداية المعركة الحالية – «هوية قومية. مواطنة كاملة» – حقيقة الانتصار على المستشار القانوني للحكومة الاسرائيلية، وعاد مجددا الى «دولة جميع مواطنيها»، ليصير الشعار الانتخابي كالتالي: «نحن نختار ممثلينا والدولة لجميع مواطنيها».

في هذه النقطة بالذات هاجمت «الاتحاد» وموقع «الجبهة – التغيير» على الانترنت حزب «التجمع» ورئيسه عزمي بشارة، في ردود «وقائية» لما كان متوقعا للسان حال «التجمع» اسبوعية «فصل المقال» نشرته ونشرته من مقالات لاذعة على تحالف الجبهة – التغيير، شارك فيها كتاب ومحررو الصحيفة، لترتفع بذلك حرارة المعركة بين هذين المعسكرين، مع ان الانباء تتوقع ان يوقعا اتفاق فائض اصوات بينهما.

حملت «فصل المقال» على «الجبهة» بشدة، بينما حملت افتتاحية «الاتحاد» على «التجمع» وزعيمه، وكذلك فعل هشام نفاع ورمزي حكيم وحسين سويطي، الذي اجتهد كثيرا وعاد الينا بالحكاية التالية عن «حقوق الامتياز» على الشعار «دولة كل مواطنيها»، وهي حكاية وجدناها في نشرة التحالف الالكترونية نهاية الاسبوع، ونقدمها بايجاز:

* «دولة كل مواطنيها» *

كتب سويطي يقول: «في غمرة النقاش الذي دار مؤخراً في اروقة لجنة الانتخابات المركزية وحسم يوم الخميس ٩ كانون الثاني في المحكمة الاسرائيلية العليا، حول محاولة شطب عضوي الكنيست احمد الطيبي وعزمي بشارة وحزب «التجمع» تفجر النقاش حول عبارة «دولة لكل مواطنيها» والتي اعتبرها المستشار القضائي حجة قانونية استند اليها في سياق تسويغه وتبريره مطالبته بشطب عضوالكنيست بشارة وحزبه.

«وقد اشارالصحافي الاسرائيلي غدعون سامط في مقال له نشر في صحيفة «هآرتس» (الاربعاء ٨ كانون الثاني) الى حقيقة ان عضو الكنيست السابق توفيق طوبي (الجبهة) كان اول من استعمل هذه العبارة وذلك سنة ١٩٨٥. واضاف سامط ان هذه العبارة ظهرت فيما بعد في برنامج حركة «ميرتس».

«ومن خلال مراجعة في ارشيف الكنيست تبين ان الكنيست كانت ناقشت في دورتها الـ ١١ سنة ١٩٨٥ تعديل «قانون اساس الكنيست» ودار نقاش حاد حول البند ١٢ من هذا القانون والذي يتعلق بطابع الدولة والموقف الذي يجب ان تتخذه الدولة من اية حركة سياسية تنكر طابعها.

«وكان الاقتراح المقدم من قبل لجنة الدستور البرلمانية ولجنة الكنيست ان يحوي البند عبارة «ان اسرائيل هي دولة الشعب اليهودي» فتصدى عضو الكنيست توفيق طوبي لهذا الطرح واقترح في كلمته التي القاها في النقاش يوم ١٩٨٥/٧/٣١ شطب عبارة«دولة الشعب اليهودي» وقال: «ايدنا في حينه قرارالامم المتحدة بشأن اقامة دولتين في فلسطين واحدة كتعبير عن حق تقرير مصير الشعب اليهودي والثانية كتعبير عن حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني». واضاف طوبي:« ان يأتي اليوم البعض ويقر في القانون ان دولة اسرائيل ليست دولة لهم وانهم مواطنون بدون دولة وان اسرائيل هي دولة الشعب اليهودي، معناه القول لـ ١٦٪ من المواطنين في دولة اسرائيل انها دولة اليهود فقط، وان المواطنين العرب الذين يعيشون فيها موجودون بمنّة وبغير حقوق متساوية مع حقوق اليهود. الا يشعر واضعو هذه الفقرة انهم بذلك يقولون لـ ٧٠٠ الف من مواطني دولة اسرائيل انهم مواطنون من الدرجة الثانية؟»

واضاف طوبي: «للجماهير العربية التي تعيش في اسرائيل، مواطني دولة اسرائيل، لا يوجد وطن اخر. هذا هو وطنهم، فيه سيعيشون، فيه سيناضلون من اجل المساواة في الحقوق وفيه يريدون العيش كمتساوين بين متساوين. انهم لن يقبلوا بالتعريفات التي تعني سلب حقوقهم المتساوية في هذه الدولة. وسيناضلون مع كل القوى الديمقراطية اليهودية حتى يعيشوا فيها بكرامة ومساواة. واريد ان اسأل: الا يفهم واضعو هذه الفقرة انهم بهذا التعريف يصمون اسرائيل كدولة ابرتهايد، كدولة عنصرية؟»

واختتم طوبي خطابه بالقول:« اننا نطالب بأن تكون الصبغة بشكل يعكس كون دولة اسرائيل بيتا ووطنا لكل مواطنيها اليهود والعرب».

* دعاية الاحزاب الصهيونية*

الاحزاب اليهودية ايضا بدأت حملتها الدعائية العربية باعلانات منشورة في الصفحات الداخلية للاسبوعيات العربية، وكان «ميرتس» السبّاق الى نشر ملصقات ضخمة على مفارق الطرق والشوارع الرئيسية المؤدية الى المناطق العربية تحمل صورة تجمع بين يوسي سريد ويوسي بيلين وحسنية جبارة، النائبة العربية والمرشحة في قائمة «ميرتس» للمرة الثانية، والتي تنافس ايضا على اصوات اهل الطيبة، بلد المرشح احمد الطيبي.

نفس الصورة تظهر في اعلان «ميرتس» المنشور في الصحف العربية مع نفس الشعار: «ميرتس انجزت الكثير من اجلك وسوف تنجز الكثير». ولديهم البرهان: اقتباسات من اقوال خصومهم السياسيين عزمي بشارة ومحمد بركة واحمد الطيبي في الاشادة بشخص ودور رئيس الحزب «يوسي سريد». وشهد شاهد من اهله..

حزب «العمل» ما زال يخفي حتى الان مرشحه العربي من باقة الغربية غالب مجادلة، وبدلا من صورة الاخير تظهر صورة رئيس الحزب عمرام متسناع مع الشعارات التالية: «متسناع جدير بثقتنا لمواقفه في الوسط العربي. تجربته في حيفا تشهد». ويضيف اعلان «العمل» ذو الارضية السماوية: «صوتنا مصيرنا، لإحراز اتفاق ينهي الصراع الاسرائيلي – الفلسطيني وللانسحاب من المستوطنات في غزة خلال عام واحد وتحويل ميزانياتها لانعاش الاقتصاد والتطوير والتعليم».

ويختم «العمل» اعلانه العربي بالشعار: «متسناع: طريق قويم يكمل رابين».

فرصة يجب استغلالها

بقلم: جدعون ليفي

مثل هذه الفرصة لم تقع في طريق مواطني الدولة العرب منذ زمن بعيد، ولا يجوز لهم بأية حال ان يفوتوها. فبعد ان أدت محكمة العدل العليا دورها كما ينبغي، وألغت بضربة واحدة القرارات المخجلة للجنة الانتخابات، والتي حظرت التجمع وعزمي بشارة واحمد الطيبي من المنافسة في الانتخابات للكنيست، فانه يتعين على العرب في اسرائيل الآن القيام بدورهم. ففي يوم الانتخابات عليهم ان يأتوا الى صناديق الاقتراع بجموعهم. دون اذا أو لكن. وان يصوتوا لحداش ـ الحركة العربية للتغيير، أو التجمع أو القائمة العربية الموحدة أو العمل أو ميرتس ـ المهم ان يشاركوا. وكما تبدو الامور الآن، فان بوسعهم ان يـؤثـروا على تحديد صورة اسرائيل في السنوات القريبة المقبلة.

واذا كان لديهم بالفعل الاحساس العميق بالالتزام بالسلام، وبمصير اخوانهم الفلسطينيين، وقيم العدل والمساواة ـ فان عليهم ان يعبروا عن ذلك في ٢٨ كانون الثاني . فليس في كل حملة انتخابية تكون لهم مثل هذه الفرصة للتأثير.

لا يمكن تجاهل الاشكالية الكبرى الكامنة في مثل هذه الخطوة من ناحيتهم. فبعد سنوات طويلة أظهروا خلالها الولاء للدولة أكثر مما أظهرت هي تجاههم، فقد مل الكثير منهم من المشاركة في اللعبة الديمقراطية المزعومة، التي تختار بمنهاجية التنكر لهم. ففي الانتخابات الاخيرة، بعد أحداث تشرين الاول ، وصل ١٨ في المئة من العرب فقط، بمن فيهم الدروز، الى صناديق الاقتراع. وكانت هذه طريقتهم المحقة للاعراب عن احتجاجهم. ايهود باراك أم ارئيل شارون ـ ما لهم بهذا أو ذاك، اذ شعروا بأن دولتهم تتنكر لهم وشرطتها تطلق النار على اخوانهم.

الحاضرون الغائبون، على أية حال لا أحد يحصيهم: معظم الاستطلاعات تحصي جملة احزابهم ككتلة واحدة في سطر واحد تحت عنوان الاحزاب العربية، وجدول المشاهدة التلفزيونية هو جدول المنازل اليهودية (لماذا؟) لا أحد يفكر بجدية بضمهم الى أي ائتلاف كان. الدرزي وحده يمكنه، بصعوبة، ان يكون وزيرا. ومثلما في حالة العمال الاجانب فانه لا يتذكرهم أحد الا في اللحظة الاخيرة عندما يصابون في الملابسات السليمة ـ أي عندما يقتل مواطن عربي أو قصاص أثر درزي في عملية مضادة أو في اشتباك.

ولكن عندما قتلت قوات الأمن ١٣ عربيا، لم ير أحد اليهود في جنازاتهم. ودور بعض الأفراد منهم في العمليات الارهابية يسم الجميع بالوصمة، رغم ان اغلبيتهم الساحقة تواصل الجلوس بهدوء على مدى سنوات طوال ليشاهدوا ما تفعله دولتهم بهم وباخوانهم الخاضعين للاحتلال، واحيانا بأقربائهم الذين يسكنون على بعد عدة دقائق سفر من منازلهم ـ والتجلد.

وكيف ترد لهم الدولة على ولائهم؟ بالجور المخجل، بالمعاملة العنصرية التي نجد تعبيرها في كل مجالات الحياة، بالنار القاتلة عندما يتظاهرون، بكم الأفواه، مثلما في حالة اغلاق احدى صحفهم لعامين، وبمحاولة، فشلت، لطرد ممثليهم البارزين من الكنيست على أساس تقرير من المخابرات.

والآن هم مدعوون لان ينسوا كل هذا ـ وان يتجلدوا مرة اخرى وان يعودوا الى اللعبة السياسية التي فتحت محكمة العدل العليا بواباتها أمامهم من جديد.

انهم مدينون بذلك لانفسهم ولاخوانهم. وحتى بقايا معسكر السلام الاسرائيلي ـ اليهودي يحتاجونهم الآن جدا. فمع أكثر من نصف صاحب حق اقتراع، بوسعهم ان يدخلوا نحو ١٥ نائبا الى الكنيست.

وهذا عدد هائل، في الكنيست الذي سيكون متناثرا، حيث الكتلة الأكبر لن تضم أغلب الظن أكثر من ٢٥–٣٠ نائبا، وفي ضوء المساواة التي تتوقعها الاستطلاعات بين كتلة اليمين وكتلة اليسار، لا يمكن الاستخفاف بالقوة التي ستكون في أيديهم. واذا ما تحققت استطلاعات نهاية الاسبوع، فان بوسعهم ان يصبحوا محطمين للمساواة في هذه الانتخابات، ولما كان يمكن الافتراض بأن ظواهر الماضي المثيرة للسخرية لتصويت العرب للاحزاب الدينية والاصولية قد ماتت، وان الامكانية الواقعية بالنسبة لمعظمهم هي التصويت لاحزاب اليسار اليهودية أو للاحزاب العربية ـ فان مشاركتهم في الانتخابات ستزيد كتلة اليسار بشكل كبير. واذا ما وقع ما لا يصدق ومعسكر اليسار انتصر أخيرا، ضمن امور اخرى بفضل اصواتهم ـ فانه سينشأ من جديد أمل للخروج من الدائرة الدموية والمظالم التي حشرتنا فيها الحكومة المنصرفة.

وعندها سيحظى المواطنون العرب بالصلاحيات الاخلاقية والسياسية التي تتيح لهم بأن يكونوا مجموعة ضغط مهمة في المجتمع الاسرائيلي وربما المشاركة في ظروف معينة في الحكومة.

وسيكون بوسعهم في حينه النظر مباشرة الى انفسهم والى اخوانهم الفلسطينيين في المناطق ليقولوا: قمنا بدورنا. غيرنا حكومة سيئة في اسرائيل. وينبغي التعلل بالأمل في ان يرحب عمرام متسناع بذلك ـ الطيبي وبركة وبشارة في حكومته، ماذا؟ هل يوجد سبيل أكثر عدلا للتقرب من السلام مع الفلسطينيين وانقاذ اسرائيل ايضا. قبل لحظة من الطلاق النهائي الذي سيقطعه الشعبان اللذان يعيشان في هذه الدولة الواحد للآخر، مع الساعة الديمغرافية التي تدق والكراهية المتعاظمة ـ فان هذه هي الفرصة التي لن تأتي ما تشبهها. والآن، على سبيل التغيير، فان الكثير من الامور منوطة بهم.

(«هآرتس»)